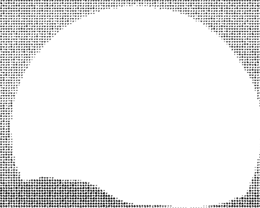
دكتور

عبدالله محمود شحاتة

الدين والمجتمع



للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة

إهـــــــداء2005

أ.د. عبد الله شحاتة

القاهرة

دكتور عبدالله شحاته

الدِّين والمجتمع

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

المطابع ١٢ ش نوبار لاظوغلي - القاهرة ت: ٣٥٤٢٠٧٩
فاكس : ٣٥٥٤٣٢٤

المكتبة
١ ش كامل صدقي الفجالة - القاهرة ت: ٥٩٠٢١٠٧
٣ ش كامل صدقي الفجالة - القاهرة ت: ٥٩١٧٩٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

هذه موضوعات ودراسات إسلامية ، جمعت بين التراث والمعاصرة ، فهى تربط الماضى بالحاضر والمستقبل، وتقدم جوانب من الدين الإسلامى بأسلوب العصر؛ آمل أن يكون فيها ما يفيد المسلم المعاصر، ويبصّره بشئون دينه ودنياه،

وقد سميت الكتاب (الدين والمجتمع) وقسمته إلى بابين :

الباب الأول يتحدث عن النظام الاقتصادى فى الإسلام ، والزكاة، وغير ذلك من الموضوعات ، التى تدل على سماحة الإسلام ، وعنايته بالمجتمع ، ورعايته للفقراء ، والضعفاء والأرامل واليتامى والمحتاجين.

والباب الثانى يتناول عمل المرأة ، والمسكرات والمخدرات ، والنظام العسكرى فى الإسلام ؛ وغير ذلك من الموضوعات الدينية التى تنير لنا طريق الحياة، وتدّعم ترابط الأسرة ، وتماسك المجتمع.

والله ولى التوفيق .. وهو حسبنا ونعم الوكيل ،

دار غريب

أسجل شكرى وتقديرى لدار غريب ؛ فهى دار جمعت بين الأصالة والمعاصرة، ولها إدارة حازمة ؛ وهمة عالية ؛ وجهد مشكور فى إحياء تراثنا ؛ وإثراء المكتبة العربية والإسلامية ؛

وأنا سعيد بأن تقوم هذه الدار الممتازة بطبع تفسير القرآن الكريم للدكتور عبدالله شحاته ؛ وقد تفرغت بحمد الله لإخراج هذا التفسير ؛ الذى يقدّم لنا شرحا ميسرًا لآيات القرآن الكريم ؛ بأسلوب معاصر يُشبع رغبة العلماء ؛ ولا يستعصى فهمه على جماهير الأمة العربية والإسلامية ؛ وقد تميّز بالاقتراب من القرآن الكريم ، وتجلّى أسراره وبيانه ، وتميّز بالتخلّص من المصطلحات الفنية الصعبة ، فإذا وجدتُ معلومات متخصصة بالبلاغة أو الإعراب أو التوحيد ، وضعتُها فى ذيل الصفحة ؛ وجعلت التفسير بأسلوب سهل ميسر مناسب للقُرّاء، وأسأل الله أن يجعله نافعًا مفيدًا ، وأن يرزقنا جميعا حسن النيّة ، والإخلاص فى العمل ودوام التوفيق ، إنه سميع مجيب ؛ وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الباب الأوّل
نظام الإسلام

١ - النظام الاقتصادى فى الإسلام.

٢ - الزكاة.

٣ - إعادة استخدام مياه المجارى من الناحية الدينية والاجتماعية.

٤ - فضل العلم .

٥ - طريق النصر.

٦ - يوم المدينة .

٧ - الرؤية القرآنية للظواهر الكونية. أ ، ب

٨ - سلمان رشدى والآيات الشيطانية.

٩ - مفاتيح السعادة فى القرآن والسنّة.

١ - النظام الاقتصادى فى الإسلام

تمهيد

جاء الإسلام دعوة عامة لإصلاح الدين والدنيا ، وقد اشتمل على إصلاح العقيدة والعبادة والأخلاق ، والنظام الاجتماعى للأسرة ، والحكم ، والاقتصاد ...

والظاهرة الملاحظة أن الإسلام دين وسط ، ورسالة إنسانية ، راعت مطالب الروح والجسد ، فأباحت للإنسان أن يتمتع بالطيبات المشروعة ، وأن يأخذ نصيبه من الدنيا ، وأن يكون سلوكه وسطا بين الروحانية المتطرفة ، والمادية المغالية.

قال تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف ٣١-٣٢

وقد حذّر القرآن من الاغترار بالدنيا والانغماس فى الترف وللهو، ونهى عن البخل بالمال والشح به : قال تعالى ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾: الحشر ٩.

ودعا القرآن إلى التوسط فى الإنفاق بين التقتير والتبذير ، قال تعالى : ﴿ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ الإسراء ٢٩

ومدح عباد الرحمن بالتوسط فى النفقة والاعتدال ، فالفضيلة وسط بين ، رذيلتين ، والاعتدال فى النفقة وسط بين البخل والإسراف ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ الفرقان ٦٧.

الاقتصاد فى الإسلام

الإسلام عقيدة ورسالة ، أو فكرة وتطبيق ، إنه دين يقوم على أساس الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ثم الالتزام بتعاليم الله وهدى رسوله.

فليس الإسلام عقيدة مجردة بل هو عقيدة وعمل ، والعبادات والمعاملات فى الإسلام كلها تتكامل ؛ لتصبح سلوكاً عملياً للمسلم.

وأهم ما امتازت به طريقة الإسلام : فى معالجة مشكلة الفقر والغنى ، أنها لم تنظر إليها على أنها مشكلة قائمة بذاتها ، بل متصلة بغيرها من شئون الحياة ، فلمعالجتها لابدّ من معالجة تامة صحيحة لكل شئون الحياة ، ولذلك نجد أن كل تشريع من التشريعات الإسلامية ، يتوقف نجاحه ، على تنفيذ باقى التشريعات، كما يتوقف هذا النجاح كله على وجود الدولة التى تتبناه ، وجميع هذه التشريعات ، تتوخى مصالح الناس وسعادتهم فى الحياة الدنيا ، والحياة الآخرة.[1]

الإسلام يقرّ الملكية الفردية

نظام الاقتصاد الإسلامى لا شبيه له بين النظم الاقتصادية المعاصرة ، فهو فريد فى بابه ونسيج وحده ، فيه من الرأسمالية أحسن ما لديها . وليس فيه عيوبها، وفيه من الاشتراكية خيرها دون شرها ، فالإسلام يقرر لكل إنسان حقه فى الحياة الحرة الكريمة ؛ وحقه فى العلم وفى العمل..

كما يحترم الإسلام (الملكية الفردية) ، ويختلف عن الرأسمالية ؛ فى أنه يحارب تكديس الثروة وجمعها فى يد فئة قليلة ، بل يجنح إلى جعلها رأسماليات متوسطة أو صغيرة، وبالتالى يخفف من طغيان رأس المال ، ويهدف إلى البر بالطبقات الفقيرة ، ويهتم بالمحافظة على أموال الأمة والأفراد.

دعائم الاقتصاد الإسلامى

يرتكز الاقتصاد فى الإسلام على ثلاث دعائم رئيسية هى :

١ - إقرار الملكية الفردية وحمايتها ؛ وحماية ثمرات العمل الإنسانى ، وضمان تكافؤ الفرص.

---

(١) د. مصطفى السباعى - الإشتراكية فى الإسلام .

٢ – تقييد حق الملكية الفردية ؛ بما يؤدى إلى إقرار العدالة الاجتماعية ؛ والتوازن الاقتصادى ؛ وتقليل الفروق بين الطبقات ، وتجنب تضخم الثروات ، وتجمعها فى أيد قليلة ، وتجريد رأس المال من وسائل الجبروت والطغيان والسيطرة على شئون الحياة ، وضمان حياة إنسانية كريمة لأفراد الطبقات الفقيرة والكادحة.

٣ – إقامة العلاقات الاقتصادية على أسس إنسانية خلقية ، يتحقق بفضلها التكافل والتعاون ؛ والتحابُّ والتواد ، والتراحم بين الناس ، والتواصى بالبر والخير والعدل والإحسان ؛ واحترام الشخصية الإنسانية ، التى كرمها الله.[1]

قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ المائدة ٢.

وسنتناول هذه الدعائم الثلاث ببعض التفصيل فيمايأتى :

١ – الملكية الفردية :

إن النظرة العامة للمال فى الإسلام ، هى اعتباره كله مال الله ، آتاه عباده ، واستخلفهم فيه ، يقول الله تعالى : ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ النور ٣٣.

ويقول تعالى : ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ سورة الحديد ٧.

وقد كان الرجل من السلف الصالح ؛ إذا سُئل عن شىء يملكه ، تحرج من أن يقول (هذا ملكى) ؛ وقال : (هذا ملك الله عندى) ، وهذا التعبير يتفق ودلالة الآية الكريمة ؛ من أن الإنسان إنما هو مستخلف فى المال ، ووكيل عليه ، ومن شأن الوكيل ألا يفعل إلا ما يأذن به موكله.

إن جعل ملكية المال لله ، واستخلاف الإنسان عليه ، يحدد فى نظر الإسلام الوظيفة الاجتماعية للمال ، إذ بمقتضى كون ملكيته لله ، يجعل نفعه وعائده مشتركاً بين جميع الأفراد ، وبمقتضى استخلاف الإنسان عليه ، يجعله أمانة بيده يرعاها ، طبقاً لمشيئة الله ، التى تتبلور فى تعاليمه ، على نحو ما جاء فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة.

---

(١) د. على عبد الواحد وافى – المساواة فى الإسلام.

ومشيئة الله فى تعاليمه ترسم الدائرة التى يؤدى فيها المال وظيفته ، وهى الخير العام، أو صالح المجتمع ، فاختصاص الفرد بمال معين – كما فى الملكية الفردية – لاينفى الوظيفة الاجتماعية للمال ، بدليل وجوب إخراج الزكاة عنه ، ووجوب الإنفاق منه على المصلحة العامة ، كلما دعت الضرورة لذلك.

ومن هنا حرّم الإسلام أن يكون المال وسيلة لاستغلال الضعيف ؛ وصاحب الحاجة ؛ فحرم الربا تحريماً قاطعاً ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ سورة البقرة ٢٧٥.

تحريم آكل مال اليتيم :

حرم الإسلام أيضاً أكل مال اليتيم، وتوعد فاعل ذلك بالنار والعذاب؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ النساء ١٠.

وقال عز شأنه :

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ النساء ٢.

تحريم الرشوة :

قال صلى الله عليه وسلم (الراشى والمرتشى والرائش فى النار) والرائش هو الوسيط الذى يقوم بنقل الرشوه وتيسيرها بين دافع الرشوة (الراشى) ، وآخذها : (المرتشى)

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ١٨٨.

تحريم الغش :

قال صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا)، وسبب ورود هذا الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يبع طعاماً كالقمح أو الشعير، فضرب النبى

(صلى الله عليه وسلم) يده فى القمح فوجده مبلولاً من الداخل، فسأله النبى (صلى الله عليه وسلم) عن سبب ذلك، فقال الرجل : أصابته السماء - أى أصابه المطر، فقال (صلى الله عليه وسلم) للرجل : "بع هذا على حده ، وبع هذا على حده، من غشنا فليس منا " .

وقال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ المطففين ١، ٢، ٣.

استغلال النفوذ:

حرم الإسلام استغلال النفوذ ، واستفادة الإنسان بسبب وظيفته وعمله؛ فى جمع أموال من الناس، تُقدم له بسبب مركزه ونفوذه، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحاسب الولاة، وحكّام الأقاليم والأمصار؛ على ما اكتسبوه من الأموال فى فترة ولايتهم.

وأحياناً، كان يقسّم أموال الولاة نصفين ، يترك للوالى نصف ماله ، ويضع النصف الثانى فى بيت المال.

وحين ضُرب قبطى مصرى بيد ابن حاكم مصر ، استدعى الخليفة العادل ، عمرو بن العاص حاكم مصر ، واستدعى ولده معه ، وقال للقبطى ، اضرب ابن الأكرمين فضربه حتى اشتفى ، ثم خلع عمرُ العمامة عن رأس أبيه ، وقال للقبطى ، اضرب أباه أيضا ؛ فإنه إنما ضربك بسطوة أبيه ، فقال القبطى : لقد ضربتُ من ضربنى ، فقال عمر للقبطى ، لو ضربته مامنعناك ، ثم قال الخليفة قولته المشهورة:

« يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

حديث ابن اللُّتبية :

استعمل النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ رجلاً لجمع الزكاة والصدقة من الناس ؛ يسمَّى (ابن اللُّتبية) . فأقبل الرجل وقسَّم ما معه إلى مجموعتين ؛ ثم قال للنبى (صلى الله عليه وسلم) « هذا لكم ، وهذا أُهدى إلىّ » . فظهر الغضب فى وجه النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ وقام فى الناس خطيبا فقال :

(أما بعد فإنى أستعمل رجالاً منكم على أمور مما ولانى الله ، فيأتى أحدكم فيقول : هذا لك ، وهذه هدية أهديت لى ، فهلاّ جلس فى بيت أبيه أو بيت أمّه ؛ فينظر أيهدى له أم لا ... والذى نفسى بيده ؛ لا يأخذ من هذا المال شيئاً إلا جاء به يوم القيامة ، يحمله على رقبته ، إن كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ».

وبصفة عامة حرم الإسلام تحريماً قاطعاً ؛ جميع طرائق الكسب غير السليم، وهى الطرق التى تقوم على الرشوة ، واستغلال النفوذ ، والغش ؛ وابتزاز الأموال ، أو الاحتكارات أو الربا ، وحرم ما ينجم عنها ، وأجاز مصادرته وضمه لبيت المال ، وبذلك أوصد الأبواب المؤدية إلى تضخم الثروات ، وحقق بذلك غرضاً إنسانياً هاماً ، وهو أن تقوم العلاقات الاقتصادية بين الناس على دعائم التكافل والتراحم ، كما حقق دفع الناس إلى العمل والكسب الشريف ، وصرفهم عن الكسل والبطالة.

تكديس المال :

المال فى الإسلام وسيلة لقضاء مصلحة ، ومساعدة محتاج ؛ وقد حرّم الإسلام الشح بالمال والبخل به ، وحذّر من تكديس المال وندد بالساعين لجمعه ، وعدم استخدامه فى المصلحة العامة.

قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ، الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ سورة الهمزة ١ - ٤.

وللحيلولة دون تكديس المال على نمط الرأسمالية ، أقرّ الإسلام نظاماً خاصًا للإرث ، يهدف إلى تفتيت المال، بقصد حفظ التوازن الاقتصادى ؛ وإنصاف المرأة ، والحيلولة دون طغيان رأس المال؛ فلم يورث المال كلّه للابن الأكبر، على نحو ماكان يفعل المجتمع الأوربى ، وإنما يوزعه بين الوارثين ؛ بحيث يُبقى فى حياة الأفراد الوارثين ؛ فراغاً للسعى والعمل الإنسانى ، من أجل بقاء الفرد نفسه ، وبقاء المجتمع كله فى تماسكه.

قال تعالى: ﴿ للرِجَالِ نَصيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ وَلِلنسَاءِ نَصيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ ممَّا قَلَّ منْهُ أَوْ كَثُرَ نَصيبًا مَّفْرُوضًا ، وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ النساء ٧-٨.

« فالإسلام فيما أوجبه ورغب فيه ، أو حرّمه وطلب تجنبه ؛ من التصرفات المالية ، قد استهدف نظافة اليد ؛ وسلامة الضمير ؛ وتماسك المجتمع ؛ وبقاء منفعة رأس المال « اشتراكا » بين أفراد المجتمع ؛ بحيث لا يصل أمرها إلى تكديس المال فى أيد قليلة ؛ وبحيث لا يستدعى الأمر ، إعادة توزيع من جديد ؛ تحقيقاً لمعنى العدل ؛ ورفعاً للظلم والغبن ».[1].

حماية الملكية الفردية :

أحاط الإسلام الملكية الفردية بكل مظاهر الحماية والأمن ، فشدد على عقوبة السرقة وقطع الطريق والغصب ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من غصب شبراً من أرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة).

ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (من اقتطع مال امرئ بغير حق لقى الله عز وجل وهوعليه غضبان) وتوجب الشريعة الإسلامية على الغاصب أن يرد ما اغتصبه ، أو يردّ قيمته إذا بدده أو أتلفه .

٢ - القيود التى فرضت على الملكية الفردية :

أخرج الإسلام من نطاق الملكية الفردية ، الأشياء التى تكون ضرورية لجميع الناس، وأوجب ملكيتها ملكية جماعية ، حتى لا يستبدّ بها فرد أو أفراد قلائل ؛ فيضار المجتمع من جراء ذلك .

وقد عدّ الرسول صلى الله عليه وسلم ، من هذا النوع أربعة أشياء ؛ وهى : الماء والكلأ والنار والملح . ووردت روايات للحديث بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال (الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلأ والنار).

---

(١) د. محمد البهى - الإسلام ونظم الحكم المعاصرة.

وقد خصصت الأحاديث النبوية هذه الأشياء الثلاثة ؛ أو الأربعة ، لأنها كانت ضرورات الحياة الاجتماعية فى البيئة العربية ، وهذه الضرورات تختلف باختلاف البيئات والعصور ، لذلك أدخل الفقهاء فى هذا الباب جميع المرافق العامة.

وعلى هذا الأساس أباح الإسلام نزع الملكية الفردية ، وجعلها ملكية جماعية؛ وتخصيصها للمجموع ، ويروى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه حمى أرضاً بالريذة قرب المدينة ، وجعل كلأها حقاً مشاعاً للفقراء ، وأمر بأن تبعد عنها ماشية الأغنياء ، وفى ذلك يقول : « فإنه إن تهلك ماشية الغنىّ يرجع إلى ماله ، وإن تهلك ماشية الفقير ، يأتنى متضوراً بأولاده طالباً الذهب والفضة ، وليس لى أن أتركه ، فبذل العشب من الآن ، أيسر علىَّ من بذل الذهب والفضة يومئذ ».

ولما جاء أهل تلك الأرض يشكون قال : « المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل عليه فى سبيل الله لما حميت فى الأرض شبراً فى شبر ».

ومن هذا المعنى وأمثاله ، وضع علماء أصول الفقه ، هذه القاعدة (حقوق الفقراء مقدمة على حقوق الأغنياء).

ويقول المستشرق دوزى فى كتابه : « تاريخ الأندلس » : « لقد أنقذ الإسلام الطبقات الدنيا من المسيحيين ، والعبيد أقنان الأرض من العبودية والظلم ، وحررهم من سلطة الإقطاعيين الأقوياء فوزعت الأراضى المصادرة بين عدد كبير من أفراد هذه الطبقة ، فكان تحقيق الملكية الصغيرة مصدراً للسعادة ، وسبباً فى ازدهار الزراعة فى أسبانيا العربية». (١)

ومن جهة أخرى نجد أن الإسلام قد حرم على المالك التصرُّف فى ملكه ، بما يؤدى لضرر عام أو خاص ، أو اعتداء على الآخرين ، وذلك لدرجة أنه أجاز نزع الملكية من صاحبها إذا أساء استخدام حقه فيها ، ويروى أنه كان للضحاك ابن خزيمة الأنصارى أرض لا يصل الماء إليها ، إلا إذا مرّ ببستان لمحمد بن مسلمة ؛ وأبى محمد بن مسلمة أن يدع الماء يجرى من خلال أرضه ؛ فشكاه الضحاك إلى عمر بن الخطاب ، فاستدعاه عمر وسأله : أعليك ضرر فى أن يمرّ

---

(١) مصطفى السباعى - الإشتراكية فى الإسلام .

الماء ببستانك.. قال : لا ، فقال عمر : والله لو لم أجد له ممرًا إلا على بطنك لأمررته .[1]

٣ - الأعباء التى فرضت على الملكية :

وضع الإسلام على عاتق المالك واجبات وأعباء ؛ فى مقابل تمتعه بما له من حقوق. وتتلخص هذه الأعباء فى الزكاة والصدقات ، والخراج والضرائب .

والأصل أن المال مال الله سبحانه وتعالى ، والغنى مستخلف عن الله فى إدارة المال والتصرف فيه بما يرضى الله تعالى ، وشاءت حكمة الله أن يكون فى الناس الأغنياء والفقراء ؛ حتى يعمر الكون ، فيجد الفقير مكاناً يعمل فيه، ويجد الغنى من يقوم له بالعمل نظير أجر معين .

والإسلام لا يدعو إلى محو الملكية ، أو فرض المساواة فى مقدار الملك ، وفى أسباب الرزق ، ومجالات الإنتاج، بل جعل لكل فرد نصيبه حسب اجتهاده وعمله.

ثم دعا الإسلام إلى تقريب الفوارق أو تذويبها ، وبعبارة أخرى فهى ليست عملية زهادة أو توكّل ، وإنما هى عدل وكفاية ، وانتاج ومشاركة فى مجالات الإنتاج والتنمية ؛ وأيضاً تعبير عن الخلق الكريم والإحساس الرحيم.

الزكاة :

فرض الإسلام على مالكى الثروات أن ينزلوا عن حصة من ثرواتهم لصالح الطبقات الفقيرة ، وهذه الحصة أطلق عليها اسم الزكاة .

والزكاة ركن من أركان الإسلام ، وتجب في كل ما يملكه الشخص من أموال عينية وتجارة وزراعة. وقيمة زكاة المال اثنان ونصف فى المائة ، وزكاة الزراعة ٥ ٪ أو ١٠ ٪ ، وزكاة البترول والمعادن والكنوز المدفونة فى الأرض ٢٠ ٪ .

مصارف الزكاة :

تنفق الزكاة على الفقراء والمساكين ، ودور رعاية الأيتام ، وتشغيل المعوقين ، وسائر وجوه الخير والبر ومساعدة الضعفاء .

---

(١) د. على عبد الواحد وافى - المساواة فى الإسلام .

الحكمة فى تفاوت نسبة الزكاة :

نلاحظ أن هناك تفاوتا بين المقادير الواجبة فى الزكاة :

فزكاة المال والذهب والفضة مقدارها ٢,٥ ٪ وزكاة التجارة مقدارها ٢,٥ ٪، وزكاة الزروع والثمار مقدارها ١٠٪ أو ٥ ٪ وزكاة الركاز والمعادن والكنوز مقدارها ٢٠ ٪ .

والحكمة فى تفاوت المقادير المطلوبة من الزكاة : أنه كلما كان جهد الإنسان فى المال أقل ؛ وعمل القدرة الإلهية أظهر ؛ كانت نسبة الزكاة أكثر ، والعكس بالعكس .

يقول الإمام ابن القيم فى كتابه « زاد المعاد » :

« إنه فاوت بين مقادير الواجب بحسب سعى أرباب الأموال فى تحصيلها وسهولة ذلك ومشقته ، فأوجب الخمس فيما صادفه الإنسان مجموعاً محصلاً وهو الركاز. والركاز هو الكنوز المدفونة من عهود بعيدة (ومثله المعدن كالحديد والذهب والنحاس وغيرها) ولم يعتبر له حولاً ، بل أوجب فيه الخمس متى ظفر به.

« وأوجب نصفه وهو العشر ؛ فيما كانت مشقة تحصيله وتعبه وكلفته فوق ذلك فى الثمار والزروع ، التى باشر حرث أرضها وبذرها ، ويتولى الله سقيها من عنده بلا كلفة من العبد ، ولا شراء ماء .

« وأوجب نصف العشر (٥٪) فيما تولى العبد سقيه بالكلفة ؛ وأوجب ٢,٥ ٪ فى زكاة المال والتجارة .

لأن نماء المال موقوف على عمل متصل من رب المال ، بالضرب فى الأرض تارة وبالإدارة تارة ، وبالتربص تارة ؛ ولا ريب أن كلفة هذا أعظم من كلفة الزروع والثمار .

نظام التكافل الإجتماعى فى الإسلام

التكافل فى القرآن الكريم :

روح القرآن الكريم ، وآياته حافلة بالدعوة إلى التكافل والتراحم ؛ فقد حث القرآن الكريم على الصدقة والنفقة على الأقارب والجيران والمحتاجين ، وحث على صلة الرحم ، ومساعدة الفقراء والأرامل واليتامى ، ووعد بالفضل والجزاء الكريم للمنفقين .

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ٢٦٢ .

وقال عز شأنه : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ البقرة ٢٧١ .

وقال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ٢٦٨ .

وقال تعالى : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ آل عمران ١٧.

وقال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ الحديد ١١ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ الحديد ١٨ .

التكافل فى السنة النبوية :

كان صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة عملية أمام أصحابه ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ؛ وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل .

وكان النبى (صلى الله عليه وسلم) رحيماً بالمؤمنين ، عطوفاً رؤوفاً ، فكان يعود المرضى فى أقصى المدينة ، ويرحم الأرملة ، ويعطف على اليتامى ويتعهد أبناء الشهداء .

ومن الأدب النبوى قوله صلى الله عليه وسلم : (من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ؛ ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ؛ ومن أطعم جائعاً أطعمه الله من ثمار الجنة ؛ ومن كسا عرياناً كساه الله من السندس الأخضر يوم القيامة ...) .

وفى الحديث القدسى ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : (يا ابن آدم أنفق أنفق عليك ؛ يمين الله ملأى لا تغيض بها نفقة ، سحاء الليل والنهار ؛ أرأيتم ماذا أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإن ذلك لم يغض ما فى يمينه) .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : (ما من عبد يتصدق بصدقة إلا وضعت الصدقة فى يد الله قبل أن توضع فى يد السائل فينميها كما ينمى أحدكم فصيله .

وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى طاعة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه ، ورجلان تحابا فى الله ، اجتمعا عليه ، وافترقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال إنى أخاف الله رب العالمين) .

فالمؤمن يظلٌّ يوم القيامة فى ظل الله ، ويحفظ من شدة الهجير ، إذا كان من المتصدقين ، والصدقات تحفظ المؤمن من أهوال الموقف ، ويحشر المتصدق فى ظل صدقته ، يوم القيامة .

مدرسة النبوة :

كان التكافل والتراحم سمة المدرسة النبوية ، بل ضرب بهم المثل فى الخير والعطاء والعناية بالفقراء ، وقد تصدق أبو بكر الصديق بماله كله فى غزوة تبوك ، وتصدق عمر بنصف ماله ، وتصدق عثمان بمائة فرس ومائة بعير ومائة حلّة ، ومائة دينار صبَّها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (ماضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم) .

وتصدق عثمان بن عفان ببئر فى المدينة ليشرب من مائها العذب جماهير المسلمين . وتصدق عبد الرحمن بن عوف بتجارة واسعة كانت تملأ شوارع المدينة، وكان عمر بن الخطاب يتعسس بالليل ، ويحمل السمن والدقيق للجائعين والمحتاجين ، وكذلك الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، ذكر المؤرخون : أن فاطمة بنت عبد الملك دخلت على زوجها عمر بن عبد العزيز ذات يوم فوجدته يبكى ، فقالت : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟

قال : (تذكرت الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعارى المحزون ، وذا العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم فى بقاع الأرض ، وأقطار البلاد ، وعلمت أن خصيمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، فخشيت ألا تثبت لى حجتى ، فرحمت نفسى فبكيت) .

وقد ذهب جماعة من الفقهاء ، على رأسهم الإمام ابن حزم إلى مسئولية البلد الذى يموت أحد أفراده جوعاً ، فيدفع أهلها الدية متضامنين إلى أسرته .

وفى هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (أيما أهل عرصة أمسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله) .

وأوجب الإسلام على بيت المال الإنفاق على العاجز عن الكسب ؛ وعلى الشيخ الفانى والمرأة ، إذا لم يكن لأحد من هؤلاء من تجب عليه النفقة ، وفى الحديث : (من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ؛ ومن كان له فضل ظهر (مطية) فليعد به على من لا ظهر له) .

مورد لا ينقطع للفقراء :

جعل الإسلام مورداً دائماً ؛ للأخذ بيد الفقراء ؛ عن طريق الكفارات التى فيها معنى العقوبة أو البدل ؛ أو جبر الناقص .

مثال ذلك :

يحلف المسلم يميناً أن يفعل شيئاً أو يتركه ثم يعدل عن ذلك ؛ فإنه فى هذه الحالة ملزم بإطعام عشرة مساكين ، من أوسط ما يطعم به أهله أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، ويعجز المسلم عن صيام رمضان ، لسقم أو هرم فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً .

ويخلّ الحاجّ بشرط من شروط الحج الأساسية ، فيكفّر بذبيحة يقدمها للمساكين ؛ ويقبل عيد الفطر ؛ فتجب زكاة الفطر على كل مسلم قادر ، كما يجب على المستطيع ذبح أضحية فى عيد الأضحى ؛ ليطعم منها الفقراء .

وينذر المسلم نذراً ؛ فيوجب عليه الإسلام أن يفى به براً بالفقراء وعوناً لهم .

ويعجز الرجل عن تكاليف العيش ، لسبب اضطرارى ، فيوجب الإسلام على قريبه الثرى ؛ أن ينفق عليه ، فينفق الابن على الأب ، والأب على الابن ، والأخ على الأخت ؛ والزوج على الزوجة ، كما أن الإسلام شرع الوقف ؛ ليصرف ريعه فى وجوه الخير عامة .

هذا جزءٌ من تشريع الإسلام الاقتصادى ، وغايته التقريب والتوفيق بين الطبقات المختلفة ، والقضاء على الفقر والحرمان ؛ وتحقيق الحرية والمساواة ؛ والتكافل الاجتماعى ؛ والكرامة الإنسانية ، ولو طبقت هذه التشريعات تطبيقاً سليماً لجعلت من الأمة الإسلامية ؛ خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت مجتمعنا مجتمعاً مثالياً بين جميع الأمم .



٢ - الزكـــاة

الزكاة هى الركن الثالث من أركان الإسلام ، وهى فريضة محكمة ، بنص القرآن والسنة ، وأفعال الصحابة ، وسائر المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ البقرة ٤٣ .

الزكاة فى القرآن الكريم :

تكرر الأمر بالزكاة فى القرآن الكريم ، وقرنت بالصلاة فى اثنتين وثمانين آية، فالصلاة والزكاة أساس وطيد لسعادة الأفراد والمجتمعات ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ البقرة ١١٠ .

وقال سبحانه : ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ الحج ٧٨ .

ونجد الأمر بالزكاة والإنفاق ، فى بداية سورة البقرة وسورة الأنفال وسورة المؤمنون.

قال تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ البقرة ٣ . وقال سبحانه ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ الأنفال ٣ . وقال عز شأنه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ المؤمنون ١ – ٤ .

وقد كانت الزكاة معروفة فى الأديان والشرائع السابقة . قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ

وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ مريم ٥٤ – ٥٥ ، وقد عنى القرآن الكريم بالحث على الإنفاق ، والعطف على الفقير والمسكين والأرملة والمحتاج .

وبين القرآن الكريم أن المال مال الله ، وأن الغنى مستخلف عن الله تعالى ، فى إصلاح المال وتثميره ، وإنفاقه فى وجوه الخير .

قال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ سورة الحديد ٧ .

وقال سبحانه : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ النساء ٣٦ .

وذكر القرآن فضل الصدقة وثوابها ، وأن الله يضاعفها أضعافاً مضاعفة ، قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ٢٦٢ .

كما عنى القرآن الكريم بذكر القصص الهادف ؛ الذى يبين أن المال نعمة أنعم الله بها علينا ، وأن مِنْ شُكْر النعمة استخدامها فيما خلقت له ، وإخراج الزكاة والصدقة ؛ ومساعدة المحتاجين ، وأن الذين يكنزون المال ولا يخرجون الزكاة يتحولون إلى عبّاد للمال ؛ يعتزُّون بالمال ، ويفتخرون به ، ويرون أنهم أصحاب النعمة بمالهم من مزايا ، مثل :

(أ) قصة قارون فى الآيات ٧٦ – ٨٣ من سورة القصص. فقد اغتر بماله ، وتفاخر به ، وخرج على قومه فى زينته ، مغروراً مكابراً ، فخسف الله الأرض به وبداره وكنوزه .

(ب) قصة رجل عاهد الله إذا آتاه الله المال ليخرجن الزكاة والصدقة ، ثم شح بالمال وبخل به فكتب الله عليه النفاق إلى يوم القيامة ، وذلك فى الآيات ٧٥ – ٨٠ من سورة التوبة .

(جـ) قصة أخوين أحدهما مؤمن فقير ، والآخر غنى كافر ، فاستبد الكافر وأخذه الغرور والكبر ، وظن أن بساتينه لن تهلك أبدا ، وأن القيامة لن تقوم ، فأرسل

الله ناراً أحرقت بستانه ، وظلَّ يعضُّ بنان الندم ، ويقلب كفيه ويقول : ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ فى الآيات ٢٢ - ٤٦ من سورة الكهف .

(د) قصة أصحاب الجنة ، فى سورة القلم ؛ وهم قوم منعوا الزكاة واغتصبوا حق المساكين ، فأرسل الله صاعقة أتلفت بستانهم ؛ فى الآيات ١٧ - ٣٢ من سورة القلم .

والقرآن الكريم يسلك إلى النفوس البشرية كل طريق ، بالتشريع والآداب ، والقصة والتوجيه ، والتبشير والإنذار ؛ ويلون القول لتحريك الهمة إلى الخير ، والابتعاد عن البخل والشح وسائر الشرور والآثام .

الزكاة فى السنة :

بين الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن الزكاة ركن من أركان الإسلام ، وهى حق لله الذى منح المال ؛ وحق للفقير لأنه أخ لنا فى الإنسانية والدِّين ؛ ومن الواجب أن نكفله ونرعاه ، وهى حق للمجتمع حتى يتم بين أفراده التآلف والتراحم .

قال صلى الله عليه وسلم : (بنى الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحجُّ البيت لمن استطاع إليه سبيلاً) .

وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ترى المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ؛ كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) كما بينت السنّة المطهرة ، أن جوع الفقراء وعريهم ومشقتهم ، بسبب بخل الأغنياء ، ومنعهم حقوق الفقراء . روى الطبرانى فى الأوسط والصغير عن على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (أن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم ؛ بالقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، الا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً اليماً) .

التدرج فى تشريع الزكاة :

كانت فريضة الزكاة بمكة فى أول الإسلام مطلقة ، لم يحدد فيها المال الذى

تجب فيه ، ولا مقدار ما ينفق منه ، وإنما ترك ذلك لشعور المسلمين وكرمهم ، وفى السنة الثانية من الهجرة ، فُرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال وبينت بياناً مفصلاً .

أنواع الزكاة :

الأنواع التى يجب فيها الزكاة شرعاً خمسة :

أولاً : الذهب والفضة ؛ ويلحق بهما النقود والأوراق المالية بأنواعها ، وأسهم الشركات ؛ فيجب فيها الزكاة على أساس قيمتها .

ثانياً : البضائع التجارية .

ثالثاً : المحصولات الزراعية ، وثمار الأشجار والأعناب .

رابعاً : الحيوانات من الإبل والبقر والغنم.

خامساً : المعادن والكنوز والبترول .

ما لا زكاة عليه :

لا زكاة فى الدور المعدة للسكنى ، ولا فى الثياب الخاصة ، ولا فى أثاث المنزل ، ولا فى دواب الركوب ، ولافى السيارات المعدة للإستعمال الشخصى ، ولا فى الأسلحة وكتب العلم .

أما إذا اتخذ شيئاً من ذلك للتجارة فإنه تجب فيه الزكاة ، ويلاحظ أن سقوط الزكاة لا يعفى صاحب النعمة من الصدقة ، ومعاونة الناس عند الحاجة، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾ الزلزلة ٧ .

نبذة مختصرة :

١ - زكاة المال والذهب والفضة والأوراق المالية نسبتها ٢,٥ ٪ ونصاب الزكاة هو ما يساوى ٣٠٠ ثلاثمائه جنيه مصرى ، فإذا حال عليها الحول وجب فيها الزكاة .

٢ - عروض التجارة : تجب الزكاة فى عروض التجارة ؛ إذا بلغت قيمتها النصاب وهو ٣٠٠ ثلاثمائه جنيه فصاعداً .

خلاصة عملية للتجار :

(أ) إذا مضت سنة كاملة على بدء تجارتك ، فقوم كل صنف من بضاعتك بالسعر الحاضر ؛ وضم ثمن الأصناف كلها إلى بعض .

(ب) أضف إلى ثمن البضاعه المتقدم ما لديك من النقود .

(جـ) أخرج ٢,٥ ٪ من مجموع ما تقدم كله ؛ عن رأسمال التجارة والربح .

وكمثال إذا كان رأسمالك ٧ آلاف جنيه ؛ ثم ربحتَ فأصبحتَ مع الربح -١٠.٠ عشرة آلاف جنيه ، تخرج عن الكل ٢,٥ ٪ ، أو ٢٥ فى الألف ، فتصبح الزكاة الواجبة عليه ٢٥٠ جنيها ، (مائتان وخمسون جنيهاً) .

٣ - زكاة المحصولات الزراعية : تجب الزكاة على الزروع والثمار ، وهى الحبوب كالقمح والشعير ، وثمار النخل والكروم ؛ إذا بلغت نصابا قدره خمسون كيلة .

وزكاة الزروع ١٠ ٪ إذا سقيت بدون آلات ، كالمطر أو النهر ، و٥ ٪ إذا سقيت بالآلات ؛ وإذا اختلف السقى كان الحكم للأغلب ؛ وإن تساويا كان الواجب ٧,٥ ٪ .

زكاة العمارات والمصانع :

قياساً على زكاة الأرض الزراعية ، أوجب بعض المجتهدين الزكاة فى ريع العمارات ، بعد حذف المصاريف والعوايد ، وتكاليف النور والمياه والبواب ، وما أشبه ذلك .

وتجب الزكاةُ فى صافيها بمقدار العشر ، أو فى جميع المتحصل من الإيجار بمقدار نصف العشر ، قياساً على الأرض ؛ فإن الزكاة تجب فى الزروع والثمار بمقدار العشر ، إن سقيت سيحاً أو بالمطر ، وبمقدار نصف العشر إذا سقيت بآلة وكلفة .

وتقاس على ذلك زكاة المصانع ، فتجب الزكاة فى ثمراتها ، أى فى المبيعات التى تبيعها المصانع .

فمصنع الجلود أو الأحذية مثلاًيخرج العُشر (١٠٪) من صافى ريع الجلود أو الأحذية ، أو يخرج نصف العشر (٥٪) من كل ما يبيعه .

توصية حلقة الدراسات الإجتماعية لجامعة الدول العربية المنعقدة بدمشق سنة ١٩٥٢ م .

زكاة الأموال :

١ - تكون زكاة الزروع والثمار بمقدار ٥ ٪ من صافى الغلات وتحصل على الوجه الآتى :

(أ) تؤخذ من مالك الأرض ٥ ٪ من صافى ما يعود إليه ، بعد خصم الضرائب والنفقات الزراعية إن كان يزرعها ، ومن صافى الأجرةإن كان يؤجرها .

(ب) تعفى الخمسون جنيهاً الأولى من الزكاة بالنسبة للمالك وكل مستأجر .

٢ - تكون زكاة الدور والعمائر المعدة للإستغلال ؛ بمقدار ٥ ٪ من صافى إيرادها .

٣ - الأموال الثابتة كالمصانع ؛ تؤخذ من صافى إيرادها بنسبة ٥٪ ، وكذلك كل الآلات المستغلّة ؛ ويعفى ما قيمته الخمسون جنيهاً الأولى .

زكاة الأموال المنقولة :

٤ - تؤخذ زكاة من رؤوس الأموال المنقوله المستغلة بالفعل ، أو التى من شأنها أن تستغل ؛ إذا مضى عليها حول فى ملك صاحبها ، ومقدار الزكاة بالنسبة لرؤوس الأموال المنقولة ٢,٥ ٪ من رأس المال والإيراد . ومن رؤوس الأموال المنقولة ، النقود والأموال المتخذة للتجارة ؛ ورؤوس أموال الشيكات ، والأسهم والسندات المتخذة للاتجار .

٥ - تؤخذ زكاة من كسب العمل والمهن الحرة بمقدار ٢,٥ ٪ كل عام .

٦ - تؤخذ زكاة الماشية المعدة للنماء والاستيلاد ، مهما كان نوعها ، إذا بلغت نصاب الزكاة ، ومقدار الزكاة هو ٢,٥ ٪ .

وختاماً نرى أن الزكاة كفيلة بإعادة أمجاد الإسلام ؛ وننقل هنا كلام أمير الشعراء شوقى عن الزكاة .

عـجـبتُ لمـعـشـر صلُّوا وصـامـوا ∴ ظـواهـر خـــشـــيــــة وتقى كـــذابا

وتلقـاهم حـــيـــال المـــال صــمًّــا ∴ إذا داعـى الـزكـــــاة بهـم أهـابا

لقـــد منعـــوا نـصــيب الله منه ∴ كـــأن الله لم يحص النصـــابا

فـــخـــذ لبنيك والأيام ذخـــراً ∴ وأعط الله حـصـتـه احـتـسـابا

فلو صـــادفت أحـــداث الليـــالى ∴ وجـدت الفـقـر أقـربَهـا انتـيـابا

وأن البـــر خـــيــــرٌ فى حـــيـــاة ∴ وأبقى بعـــد صـــاحــبـــه ثوابا

وأن الشـــرّ يصـــدع فـــاعليـــه ∴ ولم أر خـــيِّـــرا بالشـــر آبا



دور العلماء فى حرب أكتوبر

أذكر هذه الأيام الكريمة ؛ التى رفعت شأن الأمة العربية ، والإسلامية ، وسجلت أمجادنا بحروف من نور ، وكان للعلماء والأتقياء والصلحاء والهداة دور ملموس فى إيقاظ الضمير ، والدعوة إلى العزة والكرامة ، وإثارة النخوة والعزة ، والحث على الجهاد والتضحية والفداء .

مساجد السويس :

كان للشيخ حافظ سلامة دور مشكور ؛ فى إرسال فريق من المتطوعين ، يتصل بالعلماء والدعاة والهداة والمفكرين ؛ ويتفق معهم على خطبة الجمعة أو لقاء محاضرة بين الجنود ، وشاهدت العلماء يُستدعون لأداء هذا الدور ، تأتى السيارة من السويس ؛ وتمر على عدد من العلماء فى صباح الجمعة ، ويتم ترتيب خطبة الجمعة ، وإلقاء محاضرة بين الجنود قبل الجمعة بيوم ؛ أو بعدها بيوم .

والمسجد كان كغرفة العمليات ، فيه فريق يسوى الطعام . وفريق يتصل بالدعاة ، وفريق يتصل بالمسئولين فى الجيش .

لقد حضرت إلى السويس أكثر من مرة بكل الحب والرغبة ، وخلال عام ١٩٧٣ ، كان هناك تحضير نفسى وروحى ، وكُلِّفت بخطبة الجمعة بالسويس ؛ فى إحدى هذه الزيارات ؛ وكانت الخطبة عن فضل الجهاد وثواب المجاهدين ، وأجر الشهداء ، ونعيمهم فى الآخرة .

وأثناء قيامى بخطبة الجمعة ، أرسلت الطائرة الإسرائيلية : صواريخها تريد أن تصيب المسجد والمصلين فيه .

واستمررت فى خطبة الجمعة ؛ كان حماس المصلين وإخلاصهم ، وإخباتهم وتضرعهم إلى الله أمام عينى .

وفى المسجد مسجل يسجل الخطبة ، ومعها هدير المدافع ودوى الصواريخ ؛ ودعاء الصالحين وتضرع المخبتين ، وكل من فى المسجد يستعذب الموت والشهادة ويتوسل إلى الله أن ينصر المؤمنين ويزلزل المعتدين ، وبعد صلاة الجمعة ، قُدّم لنا الغداء ، ورغبت فى استراحة بإحدى الغرف الملحقة بالمسجد ؛ ونمتُ قليلاً ، وإذا بصاروخ يخترق نافذة الغرفة ليس بينه وبينى إلا سنتيمترات قليلة .

وجاء الإخوة فأغلقوا النافذة ، وتحركنا لزيارة إخوة لنا بالجيش ، وشاهدت الجنود والضباط ، فى روحانية وإباء ونظام ، وبشاشة وترحيب .

فضل الجهاد :

تحدثتُ عن عناية الإسلام بالجهاد وفريضته ، وبينت أن الإسلام دعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد مكث الإسلام فى مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى الصبر والاحتمال ، ويحث على التمسك بالحق ، والإخلاص لله ، وإصلاح العقيدة ، والتأمل فى هذا الكون ، واليقين بأن وراء الكون البديع ، يداً حانية تحفظ نظامه وتمسك به بديعاً متكاملاً .

الهجرة إلى المدينة :

هاجر المسلمون إلى المدينة المنورة ، واستقبلهم أهلها بالبشر والترحاب ؛ وتم بناء المسجد ، وتدريب الرجال ، وعقد المعاهدات بين المدينة وما حولها ؛ وأصبحت للمسلمين دولة مؤمنة فتية ؛ تستطيع أن تدافع عن نفسها ، وأن تنصر الحق ، وتردع المعتدين .

عندئذ شُرع الجهاد فى الإسلام ، لدفع العدوان ، وإزالة طواغيت الكفر من وجه الدعوة ؛ وحماية المستضعفين ، وخاض رسول الله صلى الله عليه وسلم عدداً من الغزوات ؛ وأرسل عدداً من السرايا ، وقد بلغ مجموع الغزوات والسرايا إثنتين وخمسين غزوة وسرية ؛ خلال عشر سنوات هي مدة حياته صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

أى أنه لم يكن يمضى شهران فى المتوسط ، إلا وهو قادم من غزوة أو قائم بإعداد سرية .

وهذا كله يستدعى التدريب والإعداد ؛ ورعاية أسر الشهداء والمجاهدين .

القرآن والجهاد :

تحدث القرآن طويلاً عن الجهاد وفضله ، وعن الشهداء وثوابهم ، وقد حث القرآن على الجهاد وحذر من الفرار ، وبين ما أعدّه الله للمجاهدين من أجر كريم وثواب جزيل .

الجهاد فى كتب السنّه :

حفلت كتب السنّه المطهرة بالحث على الجهاد وبيان فضله وثوابه ، وبينت أجر الشهداء ومنزلتهم عند ربهم ، وقد كان للقرآن الكريم والسنة المطهرة أثرهما فى إعداد الرجال ، وإلهاب الحماس ، وإخلاص النية ، والحرص على طلب الشهادة والثواب .

كلمة أمينة :

أسجل هنا بأمانة وصدق ، أن التوجيه المعنوى بالجيش ، بذل جهداً مشكورا فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

وأن لعلماء الدين ورجال الأزهر والدعاة المخلصين ، والقادة الأمناء ؛ دوراً لا ينكر ؛ وجهداً ينبغى أن يُشكر ، وأتمنى للأجيال القادمة أن تعرف ذلك ، وتدرك أن نجاح حرب أكتوبر (العاشر من رمضان) كانت وراءه جهود مخلصة ؛ تمسكت بروح القرآن ، وهدى السنة النبوية ؛ وأعمال القادة والصالحين ؛ فاستجاب الله الدعاء، وحقق الرجاء .

إن رحى الإسلام دائرة ، فدوروا مع الكتاب حفظاً ودراسة وتلاوة واتباعاً ، ومع السنة المطهرة وآدابها وتشريعاتها ، ومع هدى سلفنا وروح ديننا ، قال تعالى : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ الأنعام ٩٠ .

لغة الحديث الدينى

نحتاج إلى الاقتناع بما نقول ، والتحمس له ، والصدق فى القول ، فالصوت فضاح ، والحماس والصدق والاقتناع بالقضية أو الموضوع ؛ كل ذلك ينتقل إلى السامع كما قال القائل :

لا يعجبنَّك من خطيب خطبة ∴ حتى يكون مع الكلام أصيلا
إن الكلام لفى الفؤاد وإنما ∴ جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نحتاج إلى القدوة الحسنة ، والنموذج الصالح ، والسلوك الأمثل ، ليقتدى بنا الشباب والناشئة ، ولذلك قال العلماء: حالُ رجل فى ألف رجل ، أبلغ من قول ألف رجل لرجل .

ويقول الشاعر :

يا أيها الرجل المُعلم غيره ∴ هلاَّ لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ∴ كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ∴ فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله ∴ عار عليك إذا فعلت عظيم

ويقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ سورة الصف ٢ - ٣ .

نحتاج إلى النغمة الهادئة ، والصوت الدافئ ، واللغة الرصينة ، والقول الجيد، فالمتحدث يعرض عقله على الناس ، فينبغى أن يكون حكيماً ، ، رزيناً ، هادئاً وقوراً، فوسائل الإعلام تدخل كل بيت ، والمستمع قد يكون جالساً أو مستلقياً ، أو مستريحاً ، فينبغى أن يتسلل إليه القول فى رفق وهدوء ، ورأفة ولين .

لقد كان الخطيب على المنبر يحتاج إلى رفع الصوت ، واستخدام الكلمات الرنانه ، وربما استخدم السجع والجناس والمحسنات البديعية. وبعد اختراع الميكرفون والإذاعة والتليفزيون والقنوات الفضائية ، صارت لغة الإعلام فكراً وأرقاماً ؛ ونجوى، ولغة هادئة سلسة معبرة ممتازة فى رونقها وبهائها ؛ منمقة رخيمة تأخذ بالإلباب والعقول .

صفات العلماء والمتحدثين

نحتاج إلى التعمق فى فهم الدين ، ودراسة الشريعة ، وآداب الإسلام ، فالحكم على الشىء فرع عن تصوره ، وفاقد الشىء لا يعطيه ، لقد مدح الله العلم والعلماء، قال تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر ٩ .

وقال سبحانه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فاطر ٢٨ .

وفى الأثر (ما اتخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذه لعلمه)

وكلما تضلع المتحدث فى العلم زاد سماحة ويسراً وتواضعاً ، وعندما يكون المتحدث قليل البضاعة العلمية ، نجده كثير التعصب ، لقد بدأ الله تعالى بنفسه وثنى بالملائكة ثم بأولى العلم ، فهم أهل للشهادة الحقة لله بالوحدانية ؛ وشهادتهم لها وزنها وقيمتها ، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ ﴾ آل عمران ١٨ .

نحتاج إلى التواضع والهدوء ، واحترام الرأى الآخر ، والتماس العذر للآخرين؛ كما نحتاج إلى أدب الاستماع وحسن الحوار ، ومن كلام علمائنا (الذوق شىء ليس فى الكتب) ومن كلامهم أيضاً (نتعاون جميعاً فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) .

نحتاج إلى الحكمة فى القول، وتقديم الأهم على المهم ،وتخير الكلمة المناسبة ؛ والوقت المناسب ، والوسط المناسب ، فللتجار حديث عن الأمانة ؛ وللصناع حديث عن المهارة والإبداع ، وللطلاب حديث عن العلم والتعلم ؛ وهناك أحاديث تناسب الجميع، مثل الحث على التقوى ، والوحدة والجماعة ، والنهى عن الفرقة والتنازع ؛ والحث على جمع كلمة الأمة ، فأسباب الاتحاد اكثر وأيسر من

أمور الاختلاف ؛ وصدق الله العظيم ﴿ وَأَطِيعوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ الأنفال ٤٦ .

الخطاب الدينى فى وسائل الإعلام

نحتاج إلى الإحاطة بعلوم العصر ؛ وأحوال الناس وظروفهم قال تعالى :
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ إبراهيم ٤ .

هناك أرق وقلق وخوف ، وضغوط اقتصادية ونفسية بين الناس .

وكل هذا يحتاج إلى دراسة لعلم النفس والصحة النفسية ؛ وسنجد أن ديننا حافل بالآيات والأحاديث والآثار التى تدعونا إلى الرضا والهدوء ، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومرِّه ، مع الدعوة إلى العمل والإنتاج وصدق التوكّل ؛ الذى يعتمد على الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله ؛ والنهى عن التواكل والاسترخاء ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ الكهف ٣٠ .

نحتاج حقاً إلى الرفق بالآخرين ، وتحسس آلامهم وآمالهم ، وعدم التعالى على المستمعين ، وفى نفس الوقت نحتاج إلى تبصير الأمة بالأخطار التى تحيط بها ، وإلى المناقشة الهادئة .

وصدق الله العظيم ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل ١٢٥ .

نحتاج إلى معرفة لغة الخطاب فى العالم كله ؛ فقد صار العالم كقرية صغيرة، وهناك وسائل الإعلام الأخرى تنافسنا ؛ وتقدم فنونها بوسائل جذابة ، وطرق مغرية بالاستماع والإنصات ؛ وقد ورد فى الصحف الأولى : (ينبغى للعاقل أن يكون بصيراً بزمانه) ؛ لا نحتاج لمقدمات تقليدية ، بل نحتاج إلى الدخول فى الموضوع وتقسيمه إلى عناصر ، ومقدمات متسلسلة ، وعناصر مترابطة ثم خاتمة تؤكد ما سبق ، ونتائج يسلم بها المستمع أو يقبلها ؛ أو يتأمل فيها أو تحرك وجدانه أو ضميره .



الحـــج

الحج ركن من أركان الإسلام وفريضة من فرائضه .

قال تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا).. رواه البخارى ومسلم

وروى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه). وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) والإجماع منعقد على فرضية الحج . وهو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة .

ولم يفرض الحج على المسلم إلا مرة واحدة فى العمر ، لقوله صلى الله عليه وسلم (الحج مرة فمن زاد فتطوع) رواه أحمد والنسائى وأبو داود والحاكم وصححه ، ورُوى مثله عند البخارى ومسلم .

وقد فرض الحج فى السنة التاسعة من الهجرة .

وفى الحج يجتمع المسلمون فى مكان واحد ، فيتشاورون فيما فيه مصلحتهم. وفيما يعود عليهم بالنفع العام ، ويحقق لهم الرقى والتقدم ؛ وفى الحج يشاهد المسلم الأماكن المقدسة التى شهدت انتصار الإسلام وعاش فيها الصحابة والتابعون ، وفى الحج تجرد من زينة الدنيا ، وإقبالٌ على الله رغبة فى الثواب ، وطمعاً فى المغفرة .

الإحــرام

أركان الحج أربعة وهى :

الإحرام ، والوقوف بعرفة ، وطواف الافاضة ، والسعى بين الصفا والمروة .

والإحرام هو نية الدخول فى حرمة الحج أو العمرة أو فيهما معاً ، مع التلبية أو ما يقوم مقامها من ذكر الله تعالى .

كيفية الإحرام :

قبل الوصول إلى رابغ وهى قرية على ساحل البحر الأحمر بينها وبين مكة ٢٠٤ كيلو مترات .

يستعد الحاج أو المعتمر للإحرام ؛ فيقلم أظافره ، ويزيل المعتاد إزالته من شعر جسمه ؛ وينظف بدنه ، ثم يغتسل ويتجرد الرجل من ثيابه العادية ؛ ويلبس ملابس الإحرام ، وهى إزار يستر نصفه الأسفل ، ورداء يستر نصفه الأعلى ، ويجوز أن يكون فى الرداء والإزار كبسون أو مشبك ؛ يربط الإزار أو الرداء وييسر الحركة .

ثم يصلى ركعتين بنية سنة الإحرام ، وعقب ذلك ينوى بقلبه الدخول فى النسك.، ويسن النطق بالنية فيقول :

(اللهم إنى أريد الحج وأحرمت به لله تعالى ، اللهم يسره لى وتقبله منى) .

ويسن قرن الإحرام بالتلبية ، ويسن للرجل أن يرفع صوته بالتلبية فيقول : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك) .

الممنوع على المحرم والجائز له

من محظورات الإحرام ما يأتى :

١ - لبس المخيط أو المحيط للرجل ، أما النساء فيلبسن ملابسهن العادية، ويكشفن وجوههن .

٢ - الرفث ، وهو الجماع ودواعيه والنظر فى محاسن المرأة .

٣ - الفسوق وهو أقتراف المعاصى .

٤ - الجدال ومخاصمة الرفقاء وغيرهم .

قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ البقرة ١٩٧ .

ويمتنع المحرم عن التطيب أى استخدام الطيب والعطور ، وعن قص الأظافر أو حلق الشعر ، وعن التعرض لصيد البر بالقتل أو الذبح ، وهو تمرين عملى على السلام والأمان .

ما يجوز للمحرم

يجوز للمحرم أن يدخل الحمام ويغتسل لعذر أو لغير عذر ، ولا يستعمل الصابون ذا الرائحة ، بل يستخدم صابون نابلسى ويجوز للمحرم فقء الدمل ، وخلع الضرس والنظر فى المرآة ، وشد الحزام على الوسط ، ولبس الخاتم فى اليد ، والاكتحال ووضع المرهم والقطرة فى العين ، ويجوز للمحرم أن يستظل بأى شىء ، كالبيت والخيمة والمظلة على ألا يلصقها برأسه ، وللمحرم أن يحمل السلاح ، وله أن يصطاد من صيد البحر ما شاء ، وللمحرم أن يذبح الحيوان المستأنس ، كالإبل والبقر والغنم ، قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ والمراد به صيد البر لا صيد البحر .

كيف تحج فى إيجاز

١ - بعد أن يحرم مريد الحج عليه أن يكثر من التلبية عقب الصلوات حتى يصل إلى مكة .

٢ - إذا وصل إلى مكة هلل وكبر عند رؤية البيت الحرام ، ثم يطوف طواف التحية سبعة أشواط مبتدئاً من الحجر الأسود ويكثر الدعاء ثم يصلى ركعتين فى مقام إبراهيم ويشرب من ماء زمزم .

٣ - ثم يخرج إلى الصفا، ويصعد عليه متجها نحو الكعبة ويدعو بما يشاء ، ثم يهبط نحو المروة . مهرولاً بين الميلين الأخضرين . سبعة أشواط ، ويبقى بمكة حتى اليوم الثامن من ذى الحجة .

٤ - يذهب فى اليوم الثامن إلى منى ويبيت بها ليلة التاسع .

٥ - يذهب يوم التاسع من ذى الحجة إلى عرفات ، ويصلى الظهر والعصر جامعاً بينهما جمع تقديم ، ثم يذهب إلى الموقف للوقوف على جبل عرفات ، إلى ما بعد غروب الشمس ، ويكثر من الدعاء والتضرع لله تعالى .

٦ - ثم يتحرك بعد الغروب إلى المزدلفة ويصلى بها المغرب والعشاء ، ويذكر الله عند المشعر الحرام ، وفيه مسجد كبير جميل .

٧ - بعد صلاة الفجر ، أو طلوع الشمس يوم عيد الأضحى ، يرمى جمرة العقبة بسبع حصيات ، ثم يذبح شاة ، ثم يحلق رأسه أو يقص شعرات من رأسه .

٨ - يتجه بعد ذلك إلى مكة ليطوف بالبيت طواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة وطواف الركن .

٩ - يعود الحاج إلى منى ظهر يوم العيد ، يبيت بها ويرمى الجمار فى يومين هما يوم الحادى عشر والثانى عشر من ذى الحجة ، وعند السفر يطوف طواف الوداع .

دخول مكة والطواف

عندما يصل الحاج إلى مكة يطمئن على وضع أمتعته فى مكان آمن ، ثم يتطهر ويتوضأ ، ويتجه إلى المسجد الحرام ، فإذا عاين البيت الحرام قال : (اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ، ومهابة وبراً ، اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك السلام ، فحينا ربنا بالسلام) وله بعد ذلك أن يدعو بما يشاء .

طواف القدوم

ثم يدخل البيت الحرام ويشرع فى طواف القدوم ، وهو سبعة أشواط ، يبدأ كل شوط من الحجر الأسود ويختم به جاعلاً البيت عن يساره .

ويرمل فى الأشواط الثلاثة الأولى ، ويمشى فى الأربعة الباقية ، ويستحب له أن يجعل وسط الرداء تحت منكبه الأيمن ، وطرفيه على عاتقه الأيسر ، وإن شك فى عدد الأشواط بنى على اليقين ، فإذا شك هل طاف خمسة أشواط أو ستة مثلاً، جعلها خمسة ، ويستلم الحجر الأسود إن تيسر له ذلك ،وإلا أشار إليه من بعيد ،

ويشترط فى الطواف ما يشترط فى الصلاة ، من النية ، والطهارة من الحدث الأكبر والأصغر والطهارة من النجاسة ، وستر العورة .

وينبغى للطائف أن يحذر ما أمكن من إيذاء الطائفين ، بمزاحمتهم أو دفعهم باليد أو غير ذلك ، لأن هذا ينقص ثوابه، وربما يذهب به كله ، وينشغل الحاج بالدعاء والتلبية وذكر الله ، فإذا أتم الطواف يسن له صلاة ركعتين فى مقام إبراهيم أو أقرب مكان إليه ، ثم يشرب من ماء زمزم .

السعى بين الصفا والمروة

السعى بين الصفا والمروة ، ركن من أركان الحج والعمرة ، ويتم بالتردد بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، بالمشى أو الركوب .

ويعتبر السعى من الصفا إلى المروة شوطاً ، والعودة إلى الصفا شوطاً ، وهكذا حتى تنتهى الأشواط السبعة ، وينبغى أن يكون السعى بعد الطواف ، وأن يوالى بين أشواطه ، لكن لا تضر استراحة بين أشواطه ، أو أداء الصلاة مع الجماعة ، ويشترط أيضاً ، المشي فى السعى بين الصفا والمروة ، للقادر عليه ، والنية ، وأن يكون السعى فى المكان المعروف الآن بين الصفا والمروة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم سعى فيه وقال : (لتأخذوا عنى مناسككم) رواه مسلم .

وقال الشافعية المشى بين الصفا والمروة سنة ، فلو ركب عربة تسعى به بين الصفا والمروة فسعيه صحيح .

من سنن السعى ما يأتى :

١ - أن يصعد على الصفا حتى يشاهد الكعبة ، ولا يسن الصعود للنساء إن كان هناك ازدحام .

٢ - أن يكون الساعى متطهراً من الحدث والخبث .

٣ - أن يهرول وسط الشوط بين الميلين الأخضرين ، وهذه الهرولة للرجال دون النساء .

٤ - أن يذكر الله تعالى عند وصوله إلى الصفا وإلى المروة ، فيقول بعد استقبال الكعبة « الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر على ما هدانا ، والحمد لله

على ما أولانا ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير » .

الوقوف بعرفة

يذهب الحجاج إلى جبل عرفات يوم التاسع من ذى الحجة ، ويستحب للحاج الإكثار من الدعاء والتلبية أثناء التوجه إلى منى يوم الثامن من ذى الحجة ، ويسن له الإكثار من الدعاء فى يوم عرفة ، لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير) .

وإذا زالت الشمس فى وقت الظهر ، يسن للإمام أو نائبه ، أن يخطب الناس خطبة بليغة ، يوضح فيها ما يشرع للحجاج فى هذا اليوم ، والذى بعده ، ويأمرهم بتقوى الله عز وجل ، وبعدها يصلون الظهر والعصر ، بأذان واحد وإقامتين جمع تقديم مع القصر ، لفعله صلى الله عليه وسلم ذلك .

ويندب للحاج استقبال القبلة ، وجبل الرحمة إن كان ذلك ميسراً .

ويشترط أن يكون الوقوف بعرفات فى وقته ، ووقته من زوال الشمس وقت الظهر ، يوم التاسع من ذى الحجة ، إلى فجر يوم النحر .

والأفضل أن يجمع بين جزء من النهار وجزء من الليل ، بأن يقف بعرفات يوم التاسع ويظل بها إلى غروب الشمس ، ويمكث مقدار ربع ساعة بعد الغروب فى عرفات .

وينبغى للناس فى هذا اليوم أن يخلصوا قلوبهم لله ، وأن يكثروا من الدعاء والتضرع ، وإظهار الضعف والافتقار ، والرجاء من الله أن يقبل حجه وأن يغفر ذنبه، وأن يقبل توبته ويقضى حاجاته .

التوجه إلى المزدلفة ليلة العيد

الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ، وفى الحديث (الحج عرفة) ويقف الحاج إلى غروب الشمس ، والتأكد من غروبها ، أى بعد الغروب بربع ساعة ، ثم تكون الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ، باليسر وعدم المزاحمة ، روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفاض من عرفات إلى المزدلفة ، وضم زمام ناقته إليه ، وهو يقول : (يا أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالإيضاع) يعنى الإسراع .

ويندب فى الإفاضة الإكثار من التلبية والدعاء والذكر ، وقراءة القرآن .

فإذا وصل الحجاج إلى المزدلفة صلوا بهاالمغرب ثلاث ركعات ، والعشاء ركعتين قصراً جمع تأخير ، بأذان وإقامتين ، ويبيتون ليلة عيد الأضحى بالمزدلفة ، ويتحقق المبيت بالوجود فيها ، ولو بالمرور بها فى النصف الثانى من الليل ، وعند المالكية فى أى وقت من الليل . وإن كان يسن أن يظل بالمزدلفة حتى يصلى الفجر، إلا إذا كان له عذر .

وينبغى أن يمر الحجاج بالمشعر الحرام ، ومكانه الآن مسجد كبير فى منى ، ويمكن صلاة ركعتين بهذا المسجد ، أو ذكر الله تعالى عنده ، قال تعالى (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) ويسن استقبال القبلة فى الدعاء . ويكثر الحاج من الاستغفار والضراعة ، ثم يصلى الفجر فى المزدلفة ، ويتحرك إلى منى قبل طلوع الشمس، ويلتقط الحصى فى طريقه من المزدلفة إلى منى .

أعمال يوم العيد

يتوجه الحجاج بعد صلاة الفجر يوم العيد إلى منى ، ويكثرون من الذكر والدعاء والتلبية ، فإذا وصلوا إلى منى ، توجهوا إلى رمى جمرة العقبة ، ويكون ذلك بسبع حصيات متعاقبات ، يرفع الحاج يده عند رمى كل حصاة ، ويكبر ، ويستحب له عند الرمى أن يجعل الكعبة عن يساره ، ومنى عن يمينه ، وإن رماها من الجوانب الأخرى أجزاه ذلك .

والعمل الثانى بعد رمى الجمار هو ذبح الهدى ، وإذا دفع ثمن الهدى لجهة مختصة جاز ذلك . وهو أفضل الآن ، لأنهم يذبحون اللحوم ، ويحفظونها ويرسلونها معلبة للفقراء المسلمين ، فى سائرأنحاء العالم ، ولو دفع الثمن الهدى قبل يوم العيد، وطلب منهم أن يتم ذبحه يوم العيد أجزاه ذلك .

والعمل الثالث يوم العيد هو حلق الشعر ، أو تقصيره ، والحلق أفضل للرجال، أما النساء فليس عليهن حلق ، وإنما عليهن قص جزء من الشعر ، ولا يجوز أن يقص المحرم شعر نفسه ، بل لابد أن يكون الذى يقص له قد سبق أن تحلل من إحرامه .

طواف الأفاضة :

بعد رمى جمرة العقبة ، وذبح الهدى أودفع ثمنه للمختصين ، والتحلل من الإحرام بالحلق أوالتقصير ، يسن للحاج أن يتوجه إلى مكة ، ليطوف بالبيت الحرام طواف الإفاضة ، وهو من أركان الحج ، ويجوز تأخير طواف الإفاضة ، إلى اليوم الثانى أو الثالث أو الرابع من أيام العيد ، حيث يمكن أن يظل الحاج فى منى؛ حتى يرمى الجمار كلها ، ثم يؤجل طواف الإفاضة حتى ينزل مكة ، ويطوف طواف الإفاضة .

رمى الجمار الثلاث

يبدأ رمى الجمار الثلاث ، فى الأيام التى تلى يوم النحر ، ثلاثة أيام إذا تأخر بمنى ، ويومين إذا تعجل ، وتسمى أيام التشريق .

والجمار ثلاث :

الجمرة الأولى (الصغرى) قريبة من مسجد الخيف .

الجمرة الثانية (الوسطى) تبعد عن الأولى بنحو (١٥٥) متراً .

الجمرة الثالثة (الكبرى) وتسمى جمرة العقبة ، فى مدخل منى ، تبعد عن الوسطى بنحو (١٥٥) متراً .

ويبدأ الحاج بالأولى ، ثم بالثانية ، ويختم بالثالثة .

ويفعل ذلك يومين بعد العيد ، إن أراد الاكتفاء والرحيل لمكة ، أو ثلاثة أيام إذا أراد البقاء .

وعدد الحصى الذى يرميه فى كل جمرة ، سبع حصيات ، فيكون مجموع كل يوم ٢١ حصاة ، ويكون الحصى مناسباً لا هو بالصغير جداً ولا هو بالكبير ، ويكون الحصى فى حجم حبة الفول ، أو حبة النبق ، على أن يتأكد أو يغلب على ظنه ، إصابة الجمرة ، لأن الحصى يكون كثيراً ، وقد يصعب عليه التأكد ، وعليه أن يتحاشى إصابة الناس بما يرميه ، ما أمكنه ذلك ، وعليه أن يتمثل الخليل إبراهيم ، وهو يرجم إبليس ، حين وسوس له الشيطان ، ألا يذبح ولده ، فرجمه فى هذا المكان ، وعلى المؤمن أن يعتزم قهر إبليس ووسوسته ، ويشتد فى كراهيته .

وقت الرمى :

يبدأ وقت الرمى من الزوال (ظهراً) إلى الغروب ، وأباح بعض الفقهاء الرمى قبل الزوال وبعد الغروب فى جميع أيام التشريق ، ولو بدون عذر تيسيراً على المسلمين ، ومنعاً للزحام ، وتوافقاً مع روح الإسلام ، ويجوز للمرضى وكبار السن ، والنساء ، أن يوكلوا من يرمى عنهم الجمرات كلها .

ختام الحج

لو ترك الحاج الوقوف بعرفة بأن لم يصل إلى عرفة قبل طلوع فجر يوم النحر ، فلا حج له ، وعليه أن يأتى بأعمال العمرة من الطواف والسعى ، ثم يتحلل بالحلق أو التقصير ، وعليه قضاء الحج من العام القادم ، ودم كدم التمتع ، أى ذبح شاة ، أو دفع ثمنها للجهات المختصة، ولو ترك طواف الإفاضة ، فيجوز له الإتيان به فى أى وقت من عمره ، أما لوترك السعى بين الصفا والمروة فعليه أن يؤديه ما دام بمكة أو قريباً منها .. وإلا بعث هدياً لينحر فى الحرم ، ولا يرجع لإعادته ، أما لو ترك واجباً من واجبات الحج ، فإنه يجبر ذلك بذبح شاة ، وحجه صحيح .

طواف الوداع :

سمى بهذا الاسم لأن الحاج بعد تمامه يودع مكة راجعاً إلى بلده ، وهو طواف لا رمل فيه ، فإذا أراد الحجاج الخروج من مكة ، وجب عليهم أن يطوفوا بالبيت ، طواف الوداع ، ليكون هذا الطواف ، آخر عهدهم بالبيت الحرام ، إلا الحائض

والنفساء ، فلا وداع عليهما ، لحديث ابن عباس قال : (أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت طواف الوداع ، إلا أنه خفف عن الحائض). رواه البخارى ومسلم .

ويستحب للمودع أن يكثر الدعاء ومن الدعاء المأثور أن يقول (اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، حملتنى بفضلك حتى بلغتنى إلى بيتك ، وأعنتنى على أداء نسكى ، هذا أوان انصرافى فاصحبنى بالعافية فى بدنى ، والعصمة فى دينى ، واجمع لى بين خيرى الدنيا والآخرة ، إنك على كل شىء قدير ، وصل اللهم على سيدنا محمد ، آمين) .

الفرق بين الرجل والمرأة فى أعمال الحج

تفترق المرأة عن الرجل فى أعمال الحج إجمالاً فى عشرة أشياء :

١ - لا تكشف رأسها .

٢ - لا تمتنع عن لبس المخيط والمحيط .

٣ - لابد لها من محرم أو رفقة مأمونة .

٤ - تحتاج إلى إذن زوجها فى حج التطوع ، أما حجة الفرض فلها أن تخرج بغير إذنه إن منعها .

٥ - لا ترفع صوتها بالتلبية .

٦ - لا تسرع بالمشى وقت الطواف .

٧ - لا تسرع بالمشى بين الميلين الأخضرين .

٨ - لا تحلق شعر رأسها عند التحلل من الإحرام ، بل تقص شيئاً من أطرافه .

٩ - إذا فاجأتها الدورة الشهرية ، أدت جميع المناسك ما عدا الطواف بالبيت الحرام فإنها تؤجله إلى أن تطهر.

١٠- لا تستلم الحجر الأسود إذا كان هناك رجال ، لأنها ممنوعة من ملامستهم .

قال فى كتاب الاختيار ما يأتى :

(والمرأة كالرجل فى الحج إلا أنها تكشف وجهها فى الإحرام ، دون رأسها ، ولا ترفع صوتها بالتلبية ، خوفاً من الفتنة ، ولا ترمل فى الطواف ، ولا تسرع فى السعى ، لأن أمرها مبنى على الستر ، وتقصر ولا تحلق ، وتلبس المخيط لأن فى تركه خوف كشف العورة ، ولا تستلم الحجر الأسود عند زحام الرجال عليه .

ولو حاضت المرأة أثناء الحج ، اغتسلت وأحرمت ، وشاركت فى أداء جميع المناسك ، إلا الطواف ، لأن الطواف فى المسجد ، وهى ممنوعة من دخول المسجد ، ويسقط عنها طواف الوداع) .



٣ - إعادة استخدام مياه المجارى من الناحية الدينية والاجتماعية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين ، وعلى سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ...

فإن استخدام مياه المجارى ، بعد معالجتها كيميائيا أمر مفيد فى الزراعة وغيرها من شئون المصالح ، ومراعاة المصالح العامة للناس شأن مطلوب من شئون التشريع الإلهى .

جاء فى كتاب أدب الاختلاف فى الإسلام ما يأتى :

لابد من التنبيه إلى أن هذه الشريعة أنزلت لتسعد الناس فى الدارين : الدنيا والآخرة ، ولتحقق لهم مصالحهم بما ينسجم وقدراتهم العقلية التى أنعم الله بها على عباده ، فكرمهم سبحانه على سائر مخلوقاته ، ولم تتضمن الشريعة السمحاء أمراً لا يطيق الناس إتيانه أبدا؛ ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الحج ٧٨ .

وقد يسر سبحانه على عباده حتى يعملوا بهذا الدين فى ظل المحبة لا القسر والإكراه ، ويقول جلت قدرته فى ذلك : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة ١٨٤ . أى لعلمه بضعفكم ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ النساء ٢٨ .

وكل الأحكام الشرعية حوت مصلحة العباد وحرصت على تحقيق النفع لهم ، ولا شىء فيها يعود لله تعالى نفعه ، ذلك لأنه تعالى هو الغنى الحميد ، ولذلك فإنه لابد من فهم جزئيات الشريعة ، فى ضوء تلك الكليات ونحوها ، ومن لم يحظ

بكليات الشريعة، ويفهم مقاصدها ، ويدرك قواعدها فإنه لن يستطيع أن يرد الفروع إلى الأصول، والجزئيات إلى الكليات ، يقوم الإمام ابن برهان [1] :

« ... إن الشرائع سياسات يدبر بها الله عباده ، والناس مختلفون فى ذلك بحسب اختلاف الازمنة ، فلكل زمان نوع من التدبير ، وحظ من اللطف والمصلحة تختص به ، كما أن لكل أمة نوعاً من التدبير يصلحهم وإن كان مفسدة فى حق غيرهم » [2] .

وقد اتفقت كلمة علماء الأمة على أن أحكام الشريعة - كلها - معللة بمصالح العباد ، ولأجلها شرعت ، سواء منها ماهدانا الله لمعرفته بالنص عليه أو بالإيماء إليه ، وما لم نهتد إليه فلحكمة يعلمها الله جل شأنه ، ولذلك فإن كثيرا من الأحكام الاجتهادية تتغير بتغير الأزمنة ، وقد تختلف باختلاف الأشخاص وطاقاتهم وقدراتهم وظروفهم .

كذلك ينبغى أن ندرك أن نصوص الكتاب والسنة ، منها ما هو قطعى فى ثبوته ، وهو القرآن العظيم والمتواتر من السنة .. وأن من السنة ما هو ظنى فى ثبوته ، مثل : أخبار الآحاد . ودلالة النص قد تكون ظنية ، وقد تكون قطعية كذلك ، ومعرفة كل ذلك له أثره فى الاستنباط والاجتهاد والفهم من النص. فليس لأحد أن ينكر على الآخرين ما قد يفهمونه من النص من فهم مخالف لفهمه ، مادام اللفظ يحتمله ، والدليل يتسع له ، ونصوص الشرع الأخرى لا تناقضه أو تعارضه ، ومعظم الاحكام المتعلقة بالفروع والمتناولة للنواحى العملية هى من النوع الذى يثبت بالطرق الظنية؛ رحمة من الله تعالى بعباده ، ليتسع للناس مجال الاجتهاد فيها ، وما دام الشارع الحكيم قد فتح باب اليسر للعباد وجعل مصلحة الناس معتبرة فلا يليق بأحد أن ينسب مخالفا له فى أمر من هذه الأمور إلى كفر أو فسق أو بدعة ، بل عليه أن يلتمس لمخالفه من الأعذار ما يجعل حبل الود موصولا بينهما ، فيحظى بحبه وتقديره ويرعى أخوته ووداده .

---

(١) ابن برهان : هو احمد بن على بن برهان البغدادى المتوفى سنة (٥١٨ هـ) أصولى معروف ، له جملة من المؤلفات الاصولية منها : الوصول إلى علم الأصول ، والأوسط والوجيز ، كان حنبليا ، ثم تحول إلي المذهب الشافعى ، له ترجمة فى طبقات الشافعية لابن السبكى (٤/٢٤) والوفيات (١/١٩٩) والبداية والنهاية (١٢/١٩٦) وطبقات الاشنودى (١/٢٠٨) والمنتظم لابن الجوزى (٩/٢٥٠) ولقبه بابن تركان.

(٢) كتاب الوصول إلى الاصول - المسألة الرابعة من مسائل النسخ «مخطوط» .

ميـاه المجارى

مياه المجارى فى بلاد المسلمين كثيرة بصفة ملحوظة؛ ذلك أن الإسـلام قد حث على الطهارة ، وأوجب على المسلم الطهارة من الجنابة بالاغتسال ، والطهارة من الحدث بالوضوء .

قال صلى الله عليه وسلم (مفتاح الصلاة الطهور) .

وقال عليه الصلاة والسلام (الطهور شطر الإيمان)

وللطهارة أهمية كبيرة فى الإسلام، سواء أكانت حقيقية وهى طهارة الثوب والبدن ومكان الصلاة أم طهارة حكمية وهى الوضوء والغسل من الجنابة ،كما عنى الإسلام بطهارة الجسد والروح معاً فحث على الإخلاص لله تعالى والبعد عن الغل والغش والحقد والحسد .

وعلى المسلم أن يكون بين الناس مثالا متميزاً بارزاً ، فى نظافته وطهره الظاهر والباطن .

قال تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ الأعراف ٣١ .

والنظافة لها أثر كبير فى سلامة الجسم ، وسلامة المجتمع ، وصون البيئة من انتشار المرض والضعف والهزال ، لأن غسل الأعضاء الظاهرة ، المتعرضة للغبار والأتربة والجراثيم يومياً ، وغسل الجسم فى أحيان متكررة ، كفيل بحماية الإنسان من أى تلوث ، وقد ثبت طبياً أن أنجح علاج وقائى للأمراض الوبائية وغيرها ، هو النظافة ، والوقاية خير من العلاج ، وقد امتدح الله المتطهرين بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة ٢٢٢ .

وقال تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ سورة التوبة ١٠٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم لجماعة من أصحابه (إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم ، وأصلحوا لباسكم ، حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش) وهو حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والحاكم .

وقد حث القرآن على الطهارة ودعا إليها، قال تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ المدثر ٤ . وقال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ الفرقان ٤٨ . وقال سبحانه ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ الأنفال ١١ .

تطهير النجاسات

ذكر الفقهاء أنه يجوز رفع النجاسة عن محلها بما يأتى :-

١ - الماء المطلق : وهو صالح للوضوء ، ورفع الجنابة ، وإزالة كل نجاسة ، كماء السماء والأنهار والبحار والآبار والعيون والوديان التى يجتمع فيها ماء السيل ، قال النبى صلى الله عليه وسلم (الماء طهور لا ينجسه شىء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه) .

٢ - الدللك : وهو مسح المتنجس على الأرض مسحاً قويا ، يزول به أثر النجاسة ، ومثل الدلك الحت ، وهو القشر بالعود أو اليد وبه يطهر الخف والنعل المتنجس بنجاسة ذات جرم ، سواء أكانت جافة ، أو رطبة .

روى احمد وأبو دواود والحاكم وابن حبان عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما ، فإن رأى خبثا (أذى أو قذرا) فليمسحه بالأرض ، ثم ليصلِّ فيهما)

٣ - الجفاف بالشمس أو الهواء، وزوال أثر النجاسة يطهر الأرض ، وكل ما كان ثابتا بها كالشجر والكلأ والبلاط ، لأجل الصلاة عليها ، لا للتيمم بها ، قال صلى الله عليه وسلم (زكاة الأرض يبسها) .

وفى حديث ابن عمر رضى الله عنه قال (كنت أبيت فى المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت شابا عزبا ، وكانت الكلاب تبول وتقبل وتدبر فى المسجد ، ولم يكونوا يرشون شيئاً من ذلك)، رواه أبو داود .

٤ - تكرار المشى فى الثوب الطويل الذى يمس الأرض النجسة والطاهرة ، يطهر الثوب ، لأن الأرض يطهر بعضها بعضا ، بدليل حديث أم سلمة أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم (إنى امرأة أطيل ذيلى ، أمشى فى المكان القذر ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه سلم يطهره ما بعده) رواه أبو داود .

٥ - الفرك : يطهر منىّ الإنسان إذا أصاب الثوب وجف ، ولا يضر بقاء أثره. روى البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت : (كنت أفرك المنى من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يابساً ،وأغسله إذا كان رطباً) .

وفى رواية الصحيحين أيضاً (أغسليه إذا كان رطباً وأفركيه إذا كان يابساً)

٦ - التقوير : أى عزل الجزء المتنجس عن غيره ، يطهر به الدهن الجامد المتنجس كالسمن والدبس ونحوهما ، لحديث ميمونة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ، أن فأرة وقعت فى سمن فماتت فيه فسئل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (ألقوها وما حولها وكلوه) .

رواه البخارى ، وزاد أحمد والنسائى فى سمن جامد، وهذا متفق عليه ، فإن كان السمن جامداً ، طرحت النجاسة وما حولها خاصة ، فإن وقعت النجاسة فى مائع كالزيت والسمن الذائب لم يطهر عند الجمهور ، وعند الحنفية يطهر بصب الماء عليه بقدره ثلاث مرات ، أو يوضع فى إناء مثقوب ثم يصب عليه الماء فيعلو الدهن ، ويرفع بشىء ، أو يفتح الثقب حتى يذهب الماء .

قال الفقهاء: وهذا لا يعد مطهراً فى الحقيقة ، وإنما هو مطهر تساهلا .

٧ - الاستحالة : أى تحول العين النجسة بنفسها أو بواسطة ، كصيرورة دم الغزال مسكا ، وكالخمر إذا تخللت بنفسها ، أو بتخليلها بواسطة ، والميتة إذا صارت ملحا ، أو الكلب إذا وقع فى ملاحة ، والروث إذا صار بالإحراق رمادا ، والزيت المتنجس بجعله صابونا ، وطين البالوعه إذا جف وذهب أثره ، والنجاسة إذا دفنت فى الأرض وذهب أثرها بمرور الزمن ، لأن النجاسة إذا استحالت وتبدلت أوصافها ومعانيها خرجت عن كونها نجاسة، لأنها اسم لذات موصوفة، فتنعدم بانعدام الوصف ، وصارت كالخمر إذا تخللت ، باتفاق المذاهب .

قال الفقهاء : فى القوانين الفقهية ، وبداية المجتهد ، والشرح الصغير ، والشرح الكبير، والمنتقى على الموطأ ، ومغنى المحتاج ، والمغنى ، وكشف القناع ، والمذهب :

تطهر الخمر ودنها (وعاؤها) إذا تخللت بنفسها ، أو بنقلها من ظل إلى شمس، أو بالعكس ، لأن نجاستها بسبب شدتها المسكرة ، قد زالت من غير نجاسة خلفتها .

٨ - الدباغ للجلود النجسة أو الميتة يطهرها كلها لقول النبى صلى الله عليه وسلم :(أيما إهاب دبغ فقد طهر) رواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة .

٩ - دخول الماء من جانب وخروجه من الجانب الآخر فى حوض صغير مثلما كان فيه ثلاث مرات . فيصير ذلك بمنزلة غسله ثلاثا .

وعلى هذا إذا تنجس ماء فى قناة أو فى وعاء فيطهر بصب ماء طاهر عليه فى ناحية منه ، حتى يسيل من جوانبه ويخرج من الناحية الأخرى .

١٠- الحفر (أى قلب الأرض بجعل الأعلى أسفل) يطهرها .

ما يعفى عنه من النجاسة

جاء فى كتب الفقه عد الحنفية ما يأتى :

يعفى عما لا يمكن الاحتراز أو الامتناع منه من غسالة الميت ما دام فى تغسيله ، لعموم البلوى ، كما يعفى عن طين الشوارع ، فقد كان الصحابة يمشون فى طين الشوارع ويدخلون المسجد فيصلون .

ويعفى عن الدم الباقى فى عروق الحيوان المذبوح لتعذر الاحتراز عنه ، وعن دم الكبد والطحال والقلب لأنه دم غير مسفوح ،وعن الدم الذى لا ينقض الوضوء ، وعن البق والبراغيث والقمل وإن كثر ، وعن دم السمك ، وعن دم الشهيد ، وإن كان مسفوحاً .

ويعفى للضرورة عن بخار النجس وغباره ورماده ، لئلا يحكم بنجاسة الخبز فى سائر الأمصار ، ويعفى عن بعر الإبل والغنم إذا وقع فى البئر أو فى الإناء ، وأما خرء الطيور المأكولة التى تذرق فى الهواء فهو طاهر ، ويعفى عن النجاسة المغلظة

أوالمخففة القدر القليل وهو ما دون الدرهم (٣,١٧ غم) وهو ما يزن عشرين قيراطا ، وبما دون مقعر الكف فى النجاسة المائعة ، والقليل من النجاسة المخففة فى الثياب ما دون ربع الثوب، وفى البدن ما دون ربع العضو المصاب كاليد والرجل.

وهكذا فإن سبب العفو إمَّا الضرورة ، أو عموم البلوى أو تعذر الاحتراز (الامتناع) عن النجس [١] .

نقول من كتب الفقه

من مقدمة كتاب المغنى لابن قدامة جـ ١ ص ٣٤ نشر مكتبة الكليات الأزهرية: (وكان الحامل لهم على هذا التشديد فى أمر النجاسة القول بوجوب إزالتها ، وجعله شرطاً لصحة الصلاة ، وهذا محل خلاف أيضاً ، قال فى بداية المجتهد: وأما الطهارة من النجاسة فمن قال إنها سنة مؤكدة : فيبعد أن يقول أنها فرض فى الصلاة ، ويجوز أن لا يقول ذلك .

وقد استقصى الشوكانى فى نيل الأوطار كل ما استدلوا به على شرط الطهارة من النجاسة فى صحة الصلاة ، وبين أنه ليس فيه شىء يدل على الشرطية ولكن قد يدل بعضها على وجوب إزالتها ، وبين مطلق الوجوب والشرطية بون بعيد). ويقول السيد رشيد رضا فى فوائد كتاب المغنى .

وجملة القول : أن القطعى المجمع عليه هو أن الطهارة مطلوبة شرعاً ، وأن المفروض منها هو الوضوء والغسل من الجنابة ، والتيمم عنهما عند فقد الماء أو التضرر باستعماله ، وأن مراد الشارع منها النظافة مع مراعاة اليسر وعدم الحرج كما قال تعالى ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ المائدة ٦ .

وإزالة النجاسة أولى بهذا ، ولذلك ترك تفصيل أمرها لاجتهاد الأمة ، فاختلف اجتهاد علمائها ، فنظر بعضهم إلى أكمل ما يحصل به مراد الشارع كالشافعية والحنابلة وبالغوا فيه ، ونظر بعضهم إلى أدنى ما كلفته الأمة ، وأيسر ما يطلب من بدوها وحضرها وغنيها وفقيرها كالمالكية .

وتوسط بعضهم فشددوا فى بعض الفروع وتساهلوا فى بعض كالحنفية .

---

(١) الفقه الاسلامى وأدلته د. وهبه الزحيلى ٩٢/١ وما بعدها .

والأئمة لم يكونوا يعدون اجتهادهم تشريعا عاما ، تكلفه الأمة كما تكلف العمل بنصوص الكتاب ، والسنة القطعية الرواية والدلالة ، ولا سببا للتفرق فى الدين ، وأن بعض المقلدين شددوا وعسروا ، وجعلوا اختلافهم نقمة لا رحمة ، حتي قال بعض متفقهة هذا العصر بنجاسة كل ما دخلت فيه مادة (الكحول أو السبرتو) من أعطار وطيوب وأدهان وأدوية ، وهى كثيرة جدا عمت بها البلوى فى الصيدليات والطب والصناعات ، وشبهتهم أن هذه المادة هى المؤثرة فى الخمور المحرمة ، وفاتهم أنها المؤثرة فى كل المختمرات المحللة بالإجماع كخميرة العجين أيضا ، على أن هذه المادة أقوى من الماء فى التطهير ، وإزالة عين النجاسة وصفاتها .

وإنما غرضنا فى هذا أن نبين أن يسر الشريعة ، وحكمة التشريع ، وكون الاجتهاد رحمة للأمة ، إنما يعرف من مجموع كلام المجتهدين ، وينبغى أن يراعى فى الاجتهاد اليسر ورفع الحرج ودرء المفاسد ، ومراعاة المصالح ، ومراعاة العرف وغير ذلك من القواعد العامة .

- نقول أخرى من كتاب المغنى لابن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠ هـ على مختصر الخرقى .

الطهارة من النجاسة لا تحصل إلا بما يحصل به طهارة الحدث لدخوله فى عموم الطهارة ، وبهذا قال مالك والشافعى ومحمد بن الحسن وزفر .

وقال أبو حنيفة : تجوز إزالة النجاسة بكل مائع طاهر مزيل للعين والأثر كالخل وماء الورد ونحوهما ، وروى عن أحمد ما يدل على مثل ذلك. وقال غيرهما: لا تكون الطهارة إلا بالماء لما روى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم (رأى أعرابياً يبول فى المسجد ، فقال لأصحابه: لا تزرموا الرجل بوله ، ثم أمر بذنوب من ماء فأهريق على بول الأعرابى، ثم قال: يا أعرابى إن مَساجدنا لا تصلح لشىء من التقذر والبول) .

تعليق

قال السيد رشيد رضا صاحب تفسير المنار فى تعليقه على هذا الكلام مايأتى :

« وجوب امتثال أمره صلى الله عليه وسلم بإهراق الماء على البول ، لا يدل على وجوب إزالة كل نجاسة بالماء ، فإن هذه واقعة حال لا يصلح فيها غير الماء ، لا قاعدة كلية للتطهير ، وحديث أسماء فى تطهير الثوب بالماء من دم الحيض ، ليس فيه دليل على الحصر ، وإزالة النجاسة ليست من الأمور التعبدية، ولهذا لم تشترط فيها النية ، بل هى للنظافة ، لقوله تعالى : ﴿ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ الأنفال ١١ .

وقوله :﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ . المائدة : ٦.

والتطهير إزالة القذر فيحصل بكل مزيل فى الجملة ، ويختلف باختلاف الأشياء ، كمسح الصقيل ، وفعل النار ، وعليه الحنفية ، ومنه دلك النعل بالأرض ، ولكن لما كان الماء هو الغالب العام خص بالذكر .

ويوجد من السائلات الصناعية فى هذا الزمان ما هو أفعل منه الإزالة.

انتهى تعليق السيد رشيد رضا صاحب تفسير المنار ، وقد مضى على كتابته أكثر من سبعين عاما ، ومع هذا نجد أنه قال : يوجد من السائلات الصناعية فى هذا الزمان ما هو أفعل من الماء فى إزالة النجاسة .

الإسلام العقل

إن العبادات تحتاج إلى طهارة الأجسام وطهارة الثياب وطهارة المكان وطهارة القلب والفؤاد .

ونحن فى هذه الندوة ندعو إلى طهارة العقول .

طهارتها من الاتكالية والانشغال بما لا يفيد ، فكان من دعاء النبوة : (اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع) .

إننا فى حاجة إلى نقلة علمية حضارية فكرية تعرف مكانها فى هذا العالم ، تذكر أن الإسلام قد أنار العقول ومنحها الفكر والتوهج والإرادة والعمل . وقد ذكر القرآن الحديد ومشتقاته فى عدد من السور ثم ذكر سورة خاصة هى سورة الحديد حيث قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ سورة الحديد ٢٥ .

وتكلم عن صهر الحديد وتطويره على يد الأنبياء والصلحاء فنجد ذا القرنين يستخدم الحديد والنار والزفت والرصاص المذاب والنفط لحماية الجماعة المضطهدة من الغزاة، وعلى لسانه يقول القرآن :

﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ، فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ الكهف ٩٦ – ٩٧ .

ويدعونا القرآن إلى استخدام التقنية ، والتكنولوجيا التى ترتبط بخلفيتها الإيمانية فى خدمة الإنسان المسلم حتى يعيش عمره ويسارع ويسبق كما قال تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ سورة الأنفال ٦٠ .

وقد ذكر المفسرون : أن القوة هنا تختلف باختلاف العصور والأزمارن من استعمال السيف إلى استخدام المدفع والبارجة والطائرة والصاروخ ، لأن النصر النفسى والعملى متوقف على ذلك ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

إن الإنسان جزء من هذا الكون ، والكون كله حافل بالحياة والحركة، والكون كله يحيا فى عطف العناية الإلهية .

والله قد استخلف الإنسان فى الأرض ، وسخر له الكون والسماء والأرض والجبال والبحار والأنهار ، كما طرح القرآن حشدا من الحقائق العلمية فى ميادين شتى ، وخاصة الفلك والطبيعة والجغرافيا والطب والنفس ، قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت ٥٣ .

أين توهج العقل المسلم وقدراته الهائلة التى رباه عليها الإسلام ؟ لابد من بناء عقلية البرمجة والتخطيط ، ودراسة الأسباب وحصول النتائج واكتشاف مواطن الخطأ والعجز ، وإعادة المحاولة أكثر من مرة .

إن مواقيت الصلاة ومقادير الزكاة ، وحساب الأهلة ، وأحكام الأداء والقضاء والحول ، والفوات ، ... وكل الضوابط دليل على تنظيم الشخصية ، أو وضعها ضمن مناخ التنظيم، وإدراك الأشياء ، ومدى أهمية أدائها فى وقتها ، وكيف أن عامل الوقت جزء هام من العملية الحضارية .

★ ★ ★

تحية خالصة للقائمين على هذه الندوة ودعوة صادقة إلى مضاعفة الجهود، والعمل الدائب المثمر المفيد ، فى سبيل استخدام التقنية ، والتفوق العلمى والتكنولوجى من أجل إعادة استخدام مياه المجارى والصرف الصحى فى تطوير الزراعة وتحسينها ، حتى نأكل قمحا من عمل أيدينا وزراعة بلادنا ، ولا نأكله مستوردا من بلاد أخرى ، مع أن هذه البلاد تستخدم أحدث وسائل التكنولوجيا فى الزراعة والرى والحصاد ، بل هى تستخدم المياه مرات متعددة بعد أن تجعلها صالحة للغرض المنوطة به.

وهى بهذا تستخدم العلم والعقل والفكر ، وأسباب التقدم ، وهى تفيد نفسها وتفيد غيرها . وقد حثنا القرآن على إتقان العمل قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾

سورة الكهف ٣٠.

★ ★ ★

إن مياه المجارى حتى وإن كانت نجسة ، فإننا نستخدمها فى سقى الزراعة وإنضاج الثمار والبقول ، والفاكهة والخضروات وسائر الثمرات ، والفقهاء قد ذكروا أن النجاسة إذا أحرقت أو تبدلت وتغيرت فقد طهرت.

فالخمر الذى تحول إلى خلّ ، والكلب الذى دفن فى أرض مملحة فصار ملحا، والشجرة التى نبتت وأثمرت فوق بئر المجارى أو مياه الصرف – إذا أثمرت ثمرة ذهب فقهاء المالكية إلى أن الثمرة طاهرة والانتفاع بها جائز.

لأن الخمر قد تغيرت وتبدلت إلى خل ، وصارت طاهرة ، والكلب إذا دفن فى ملاحة ، تحول إلى ملح وجاز استعماله ، والثمرة التى نجنيها من رى المجارى يجوز أن نأكلها وأن نستفيد بها.

ثم إن الأمم والشعوب ستعانى فى المستقبل من قلة المياه ، وربما جاء عصر يوصف بأنه عصر الحروب من أجل المياه ، ونحن عندما نستخدم مياه المجارى فى الزراعة ، نوفر المياه الطاهرة للشرب والطهارة فى العبادات ، كالوضوء والاغتسال، من أجل هذا نوصى بالمحافظة على أن تكون مياه الشرب ومياه الطهارة والوضوء والاغتسال مياها طاهرة غير مستعملة فى عبادة سابقة.

علما بأن مياه البحر أو مياه الخليج المالحة صالحة للوضوء والاغتسال، قال صلى الله عليه وسلم عن البحر (هو الطهور ماؤه الحل ميتته).

إن المعالجة الكيميائية قد لا تكفى فى تحويل مياه المجارى إلى مياه طاهرة، وحتى لو تحولت إلى مياه طاهرة فرضا ، فإنها لا يجوز أن تستعمل فى العبادة كالوضوء والاغتسال ، لأنها تصبح مياها طاهرة غير مطهرة.

والمياه الطاهرة غير المطهرة هى المياه التى سبق أن استعملت فى عبادة ، فلا يجوز أن يعاد استعمالها فى العبادات ، بل يعاد استعمالها فى العادات كرش الطرق وسقى الحدائق والبساتين وأنواع الزراعات.

يسر الدين :

أراد الله أن يكون دينه يسرا لا عسرا ، وسمحا سهلا لا غلو فيه ولا شطط.

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة ١٨٥ . وقال صلى الله عليه وسلم (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا).

ونحن حين نستفيد بمياه المجارى فى الزراعة ورش الطرق وأشباه ذلك نحافظ على المياه الطاهرة ، كمياه الآبار والأفلاج وغيرها ، حتى نستفيد بها فى الطهارة والاغتسال والنظافة ، فالدين قد بنى على النظافة.

وفى الحديث الشريف (إن الله نظيف يحب النظافة ، جميل يحب الجمال ، طيب يحب الطيبين).

وقال صلى الله عليه وسلم (تزينوا وتنظفوا واستاكوا حتى تكونوا كالشامة البيضاء بين الأمم).

وفى سبيل النظافة حث الدين على الاغتسال يوم الجمعة وفى الحفلات والمجتمعات ، حتى تسود بين الناس الألفة والمودة ، وحتى يبتعد الناس عن الروائح الكريهة المنفرة.

التحذير من شيئيين :

الأول : إهمال الاستحمام والنظافة والطهارة حتى تصبح رائحة الإنسان كريهة منفرة مؤلمة، وقد حذر الرسول من إيذاء الآخرين وإيلامهم فقال (من أكل ثوما أو بصلا فليعتزل مساجدنا).

الثانى : الإسراف فى استخدام الماء ، إذ ينبغى الاقتصار على القدر الواجب استخدامه ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالصاع ويغتسل بالمد، والمد رطلان. أى أن الماء القليل كان يكفيه للوضوء أو للاغتسال، وقد حرم الدين الإسراف فى الماء ولو كان المسلم على نهر جار حتى يتعود المسلم على الاعتدال والانصاف ووضع الشىء فى موضعه ، فلا يجوز أن يفتح الدش للاستحمام ويتركه وقتا طويلا زائدا عن الحد ، بل نقلل استخدام الماء اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يغتسل برطلين من الماء.

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب ٢١ .

النبى صلى الله عليه وسلم يغتسل برطلين ماء ، وبعض الناس يوسوس عند الطهارة فلا يكفيه عشرة أرطال ، ولا صفيحة كاملة من الماء، ويظن أن هذا الإسراف من الاحتياط فى شئون الدين ، مع أن الله حرم الإسراف وحذر منه حيث قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف ٣١.



خلاصة فقهية عن :
الطهارة بالماء ، والمنظفات الصناعية

١ - الأصل فى إزالة النجاسة التطهير بالماء .

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ الفرقان ٤٨.

وعن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت :

جاءت امرأة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (حتيه[1] ثم اقرضيه [2] بالماء ثم رشيه وصلى فيه) [3].

فكل هذه النصوص تدل على أن الماء له خاصية إزالة النجاسة ، وهو مذهب الشافعية والمالكية والحنابلة [4].

وذهب الحنفية إلى جواز إزالة النجاسة بكل مائع طاهر مزيل للعين والأثر كالخل وماء الورد ونحوهما ، قال فى شرح العناية على الهداية « الإزالة إنما تكون بإخراج أجزاء النجاسة مع المزيل شيئا فشيئا وإنما ذكر الماء رغم أن التطهر به ثابت بالإجماع ليعلم أن الإزالة غير واجبة به بل تجوز به وبغيره » [5].

ويعنى هذا أن الماء ليس مخصصا لإزالة النجاسة وحده وإنما يدخل معه كل ما يؤدى الغرض ، ويطهر النجس ، لأن المقصود بإزالة النجاسة إتلاف عينها ، فبأى وسيلة طاهرة تم ذلك فقد حصل المقصود.

---

(١) الحت : هو الحك لإزالة النجاسة.

(٢) القرض : التدليك بالماء.

(٣) سنن الترمذى ٢٥٥/١.

(٤) المغنى والشرح الكبير ٨/١ . بداية المجتهد ٨٤/١.

(٥) شرح العناية هامش فتح القدير ١٦٩/١.

جاء فى شرح الشرقاوى على شرح التحرير ، للشيخ زكريا الأنصارى : (لو تغير ريح ماء وطعمه بنجس ، فألقى فيه الزعفران، أو تغير لونه وطعمه فألقى عليه مسك فزال تغيره طهر ، وقس على ذلك) [1] .

فقوله وقس على ذلك أن استخدام أى وسيلة لإزالة النجاسة يؤدى إلى طهارة المتنجس.

إن الفقهاء يذكرون أن الماء لو أصابته نجاسة فيمكن زيادته إلى ثلاثة أمثاله ليطهر ويكون ذلك مثل غسل الثوب ثلاث مرات من النجاسة.

وحين نعالج مياه المجارى معالجة كيميائية تؤدى إلى طهارتها . فإن بعض الفقهاء يبيح استخدامها والانتفاع بها فى الطهارة وغيرها.

وبعض الفقهاء يحتاط مراعاة لاختلاف المذاهب، فيرى أنه لا يجوز استخدام مياه المجارى بعد معالجتها كيميائيا فى الشرب كما لا يجوز استخدامها فى الطهارة كالوضوء والاغتسال.

ويبقى أن جمهور الفقهاء يبيحون استخدام مياه المجارى بعد معالجتها كيميائيا فى الزراعة وما يتصل بذلك من الأنشطة المتعددة التى تفيد الأمة وتساعدها على توفير الغذاء ، والمحافظة على الصحة والنظافة العامة والمصالح المفيدة للفرد والجماعة . والله ولى التوفيق .....



---

(١) حاشية الشرقاوى ١٣٢/١.

استخدام مياه الصرف الصحى بعد معالجتها كيميائيا من الناحية الدينية والاجتماعية

« مختصر البحث للترجمة إلى اللغة الإنجليزية »

(١) استخدام مياه الصرف الصحى بعد معالجتها كيميائيا ، أمر مفيد فى شئون الزراعة والصناعة ومزارع الأسماك ، وغير ذلك من شئون المصالح ، ومراعاة المصالح العامة هدف من أهداف التشريع الإسلامى.

(٢) اتفقت كلمة علماء الأمة على أن أحكام الشريعة كلها معللة بمصالح العباد ولأجلها شرعت ، وقد أراد الله من أحكام الشريعة اليسر والمنفعة للعباد.

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة ١٨٥.

(٣) مياه الصرف الصحى فى بلاد المسلمين كثيرة لأن الإسلام أمر بطهارة الجسم والمكان والثياب عند العبادة، وللنظافة فائدة كبيرة فى صحة الأجسام والوقاية من الأمراض.

تطهير النجاسات

(٤) ذكر الفقهاء أنه يجوز رفع النجاسة عن محلها بما يأتى :

(أ) الماء المطلق ، وهو صالح للوضوء ورفع الجنابة وإزالة كل نجاسة كماء السماء وماء الأنهار والبحار والآبار.

(ب) الدلك ، وهو مسح المتنجس على الأرض كالخف والنعل.

(جـ) الجفاف ، بالشمس أو الهواء ، وزوال أثر النجاسة يطهر الأرض ، وكل ما كان ثابتا بها كالشجر والكلأ.

(د) التقوير أى عزل الجزء المتنجس عن غيره ، فلو وقعت نجاسة فى سمن يابس ترفع النجاسة ويقور قليل مما حولها.

(هـ) تحول العين النجسة إلى شىء آخر يطهرها ، فالخمر إذا صارت خلا طهرت ، والزيت النجس إذا تحول إلى صابون يطهر ، والكلب إذا دفن فى ملاحة فتحول إلى ملح صار طاهرا.

ما يعفى عنه من النجاسات

(٥) يعفى من النجاسة المغلظة أو المخففة القدر القليل وهو مادون الدرهم. والقليل من النجاسة المخففة فى الثياب ما دون ربع الثوب وسبب العفو إما الضرورة ، أو عموم البلوى ، أو تعذر الاحتراز عن النجس.

(٦) يرى بعض المتشددين أن السبرتو أو الكحول نجس لأنه سبب الخمر ، وهذا خطأ فالعجين الذى نأكله حلال باجماع العلماء وسبب صلاحه خميرة العجين ولو كان كل ما يسبب التخمر حرام لتحرمت خميرة العجين مع أنها حلال بالإجماع فالسبرتو طاهر ومطهر.

(٧) تزال النجاسة بالماء وبكل مائع طاهر مزيل للعين والأثر كالخل وماء الورد ونحوهما.

ويقول السيد رشيد رضا صاحب تفسير المنار :

يحصل طهارة النجس بكل مزيل للنجاسة كالدلك أو فعل النار ، ويوجد من السائلات الصناعية فى هذا الزمان ما هو أفعل من الماء فى إزالة النجاسة.

(٨) إن الإسلام دين يدعو إلى استخدام العقل والتقنية الحديثة ، والتفوق العلمى ، وروحه تسمح بإعادة استخدام مياه المجارى والصرف الصحى فى تطوير الزراعة وتحسينها ، حتى نأكل القمح من زراعتنا ولا نستورده من غيرنا ، فالدين يسر لا عسر.

(٩) نتيجة البحث : هو أننا يمكننا أن نستخدم مياه الصرف الصحى فى الزراعة والصناعة وكل الأغراض ونستثنى من ذلك ما يأتى :

(١) الشرب .

(٢) الوضوء والاغتسال فى العبادة.

للاشتباه فى أن تكون المياه نجسة فلا نستعملها فى العبادات.

بل نستعملها فى شئون العادات والزراعة وما يتصل بها .[١]



(١) قدّم هذا البحث فى مؤتمر دعت إليه وزارة الصحة بسلطنة عُمان.

٤ - فضل العلم ومحو الأمية فى القرآن

محا الإسلام أمية الفكر والمعرفة ، ودعا إلى القراءة والتعلُّم والتعليم ، وحفل القرآن بالتشريع والقصص والأخلاق ، وأخبار السابقين، وبيان قدرة الله فى خلق الكون ، وبيان مشاهد القيامة وأحداث الآخرة.

وساهم فى تصحيح التفكير ، والإرشاد إلى الطريق القويم ، وهناك نصوص كثيرة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وآثار الأئمة المهتدين تدعو إلى العلم وتحث عليه وتبين فضله ومنزلته.

قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلق ١ - ٤ .

وقد أقسم الله بالقلم والدواة لبيان فضلهما فى نشر العلم وكتابته فقال سبحانه : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ، مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ، وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ سورة القلم ١-٤.

وكفى العلم فضلا أن يبدأ الله بنفسه ويثنّى بالملائكة ويلي ذلك أولو العلم ، قال تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ ﴾ آل عمران ١٨ .

والعلماء هم الصفوة الممتازة التي تدرك عظمة الله وقدرته وتخشاه حق خشيته ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فاطر ٢٨ .

والعلماء هم الذين يدركون أسرار الكون ودقة نظامه وجميل إبداع الله فيه ، وكلما ازداد الانسان علما زاد تواضعا ورفعة ، لأن العلم نور وهداية قال تعالى ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ سورة المجادلة ١١ .

وحسبنا فى معرفة فضل العلم قول الله تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ سورة طه ١١٤ .

وقوله صلى الله عليه وسلم (إذا أتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى إلى الله تعالى ، فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم) .

وفى الحديث الشريف (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) .

فالعلم باب من أبواب رضا الله ومغفرته ، وهو طريق إلى العز والسؤدد ، والعلم اقوى سلاح فى حياة الامم ، لأن العالم قوة لنفسه ووطنه ، وهو مشعل حضارة ، والجاهل مصدر تأخر ، وفى الأثر (ما اتَّخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذه لعلمه) .

يجب أن نحث الخطى فى العلم والتعلم ، ومحو الأمية للكبير والصغير والذكر والانثى ، فليس لتحصيل العلوم زمن محدد ، ولا سن معين ، وإنما يطلب العلم فى كل وقت ، وفى الاثر (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) .

إن الحكمة ضالة المؤمن، قال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ سورة البقرة ٢٦٩ .

إن العلم باب من أبواب العزة والرقى والتفوق، والعلم لا تحده حدود ، ولا تقف دونه عوائق أو سدود ، قال صلى الله عليه وسلم (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو فهو أحق بها) .

« إن رحى الاسلام دائرة ، فدوروا مع الكتاب حيث دار » وكتاب ربنا حث على العلم والمعرفة ودعا إلى استخدام القوة ، ويقول الشاعر :-

تعلم العلم واقرأ ∴ تحز فخار النبوه

فالله قال ليحيى ∴ خذ الكتاب بقوه

وفى الحديث الشريف (طلب العلم فريضة على كل مسلم)، ويقول لقمان لابنه : (يا بُنَىَّ اطلب العلم فإن افتقرت كان لك مالا ، وان استغنيت كان لك جمالا ،

يا بنى العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو بالإنفاق، والمال ينقص بالإنفاق) ، لقد صارت القوة فى عصرنا فنا ومعرفة ودراسة ، وإحاطة بالتقنية والتطور العلمى ، وصارت الحرب دراسة طويلة متأنية ، من كل متخصص لفرع من فروع الحرب حتى نحقق قوله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ سورة الأنفال ٦٠ .

إن النصر على الاعداء واجب دينى وقومى ، ولا يتم النصر إلا بالعلم ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

كانت القوة هى الرمى بالنبال والضرب بالسيف ، ثم اخترع المدفع والطائرة والصاروخ والقنبلة والردار وغير ذلك ، والقوة تكون فى كل عصر بما يناسب ذلك العصر ، فالناس بأزمانهم أشبة منهم بآبائهم وأمهاتهم .

ينبغى أن نسهم جميعاً فى محو الأمية وتعليم الكبار ، ونشر نور العلم والقضاء على الجهل ، ينبغى أن نكرم المعلم، فرسالته هى رسالة الأنبياء الذين خاطبوا العقول ، وصححوا الأفكار ونشروا نور المعروفة .

قال شوقى :-

قم للمعلم وفه التبجيلا	كاد المعلمُ أن يكون رسولا
ارأيت أفضل أو أجل من الذى	يبنى وينشئُ انفسا وعقولا
سبحانك اللهم خير معلم	علمت بالقلم القرون الأولى
أرسلت موسى بالكتاب معلما	وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمدا	فسقى الحديث وناول التنزيلا
الجهل لا تحيا عليه جماعة	كيف الحياة على يدى عزريلا

ويقول الامام على رضى الله عنه : يا بنى اطلبوا العلم ، فإن كنتم فقراء عشتم، وإن كنتم أوساطا سدتم ، وإن كنتم سادة فقتم ، ثم أنشد يقول :

الناس من جهة التمثال اكفاء	أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهمُ فى أصلهم شرف	يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنَّهموا	على الهدى لمن استهدى أدلاء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا	الناس موتى وأهل العلم أحياء

لقد خلد العلم حياة الأئمة الراشدين ، وأئمة المذاهب الفقهية ، وعلماء الإصلاح ، ويكفى أن النبوة وقفت أمام الصلاح فى كتاب الله تعالى مرتين .

المرة الأولى : زكريا يتعلم درسا من مريم حين سألها عن الأرزاق التى تأتيها فى غير أوانها ، فأخبرته أنها من عند الله ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ آل عمران ٣٨

المرة الثانية : حين وقف موسى امام الخضر يقول له ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ الكهف ٦٦ .

وكان الشيخ يقول لمن تخرج على يده من العلماء : لا أقول لك اذهب فحدث الناس ولكن اذهب فأعط الناس عقلا من الحديث . إن محو الأمية ، وتعلم القراءة والكتابة عبادة وسيادة ورفعة وفى أعقاب غزوة بدر غنم المسلمون سبعين أسيرا وقبل النبى صلى الله عليه وسلم منهم الفداء ، ومن عجز عن الفداء كان عليه أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة .

وبهذا وضع النبى صلى الله عليه وسلم أساس محو الأمية للرجال والنساء على السواء، فقد كانت هناك امرأة تعلم النساء القراءة والكتابة ، ثم تعلمهن تحسين الكتابة وتجويدها ، وطلب النبى صلى الله عليه وسلم منها أن تعلم - حفصة بنت عمر زوجته - القراءة والكتابة ، ثم طلب منها أن تعلم حفصة رقية النملة ، وهو نوع من تحسين الكتابة وتزيينها ، وقد تتابعت آيات القرآن الكريم تحث على العلم والتعلم ،كما ورد فى الأحاديث النبوية الشريفة فضل العلم وتعلمه . قال صلى الله عليه وسلم (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم الرحمة وغشيتهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) .

وقد كان تدارس القرآن وتعلم أحكامه وعلومه وتفسيره سببا فى نشأة كثير من العلوم والمعارف حول القرآن ، فالتجويد لمعرفة حسن النطق وآداب التلاوة ، والبلاغة لمعرفة ما فى القرآن من جمال، وحسن تصوير ،وبيان ،وتصرف فى القول، وتناسق فى اللفظ، وتتابع فى الأفكار،وتفنن فى عرض الفكرة عن طريق القصة والأخبار حينا ، وعن طريق التشريع والآداب حينا، إلى غير ذلك من فنون الإعجاز .

والتاريخ لدراسة قصص القرآن وأخبار الأمم السابقة فيه ، والأدب لدراسة جمال اللفظ وحسن العبارة، والمنطق لدراسة حجج القرآن وأدلته العقلية والنقلية على قضايا الألوهية والنبوة وأخبار القيامة ، وهى التى سميت فى علوم العقيدة الإلهيات والنبوات والسمعيات ، وكذلك الفلك والحساب والهندسة والفيزياء والطب لدراسة ما أشار إليه القرآن ، لقد خاطب القرآن العقل، وحث على إعمال الفكر واللب والفؤاد، قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ سورة آل عمران ١٩٠ .

وقد تعرض القرآن الكريم فى آيات كثيرة منه - نحو سبعمائة وخمسين آية - إلى مسائل هى من صميم العلم ، وذكر جانبا من الحقائق العلمية كقضايا عامة ، ودخل فى تفاصيل بعض الحقائق الأخرى ، وبذلك نبه الأذهان إلى أهمية البحث واعمال النظر والفكر ، وبتلك الدفعة الكبرى ألف العرب الموسوعات الشاملة ، فى مختلف فروع العلم والمعرفة ، فكتب ابن سينا نحو ٢٦٦ كتابا فى علوم الطب والفلسفة والمنطق ، والفلك والرياضة والفيزياء والنبات والحيوان إلخ ، والف ابن الهيثم نحو ٢٠٠ كتاب، منها كتاب البصريات الذى لقى رواجا بعد تحقيقه فى عصرنا هذا ، وصنف البيرونى نحو ١٧٦ مخطوطا على مستوى رفيع ، منها ما عالج فيه العديد من المسائل الرياضية والفلكية الحديثة ، وألف الجاحظ ما يربو على ٣٥٠ كتابا ورسالة فى الادب والشعر مما تفخر به المكتبة العربية .

العلم سبيل إلى وحدة الصف :

إن العرب مدعوون إلى وحدة الصف وتبادل الخبرات فى مجال التربية والتعليم ، وتحقيق قدر مشترك من التعليم بين البلاد العربية والإسلامية ، والتعاون التام والتنسيق بين وزارات التربية والتعليم فى الوطن العربى والإسلامى حتى يعود للمعارف الإسلامية وجهها الصبوح . فنجد دراسة للأدب الإسلامى الذى يعنى بنواحى الحث على مكارم الأخلاق وبعث القيم والمبادئ، ونجد مثال ذلك فى شعر إقبال ، وإسلاميات شوقى وحافظ ، ونواحى الجمال والبيان فى شعر المتنبى لأن العربية هى لسان القرآن ، وإتقان اللغة العربية ومعرفة جمالها ونطقها واعرابها وتصريفها عمل جليل ، مع العناية باللغة العربية السهلة الميسرة التى نشاهدها فى

لغة الإذاعة والصحافة والكتاب والنشرة ، فإذا كتبنا باللغة العربية الميسرة السهلة استطعنا جميعا أن يفهم بعضنا بعضا ، وإن نجد وسيلة من الوسائل تسهم فى وحدة الصف وتقوية البناء ووحدة الأمة، قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء ٩٢ .

وقال صلى الله عليه وسلم (إن العربية اللسان وليست العربية لأحدكم بأب ولا أم فكل من تكلم العربية فهو عربى) ، وقد نزل القرآن بلسان عربى مبين ، وإتقان اللغة العربية وتيسيرها والكلام بها إحياء لعاداتنا العربية والإسلامية ، وطريق إلى إحياء العزة والكرامة الإسلامية قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة المنافقون : ٨، وقد وحد القرآن الكريم بين العرب حتى جعلهم خير أمة اخرجت للناس ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ سورة آل عمران ١٠٣ .



٥ - طريق النصر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

ما هو السبيل إلى جمع كلمة المسلمين ؟

هل هو الأحاديث المنمقة ؟ والشعارات المرفوعة ؟

هل هو الكلام العام الهائم فى الآمال ؟

هل هو التذكير بالدين والإيمان والرحمن ؟

هل هو التذكير بالماضى والأمجاد والتراث ؟

هل هو فى الدعوة إلى التماسك والتساند والتعاون من أجل وحدة الكلمة ووحدة الهدف ؟

هل هو فى التذكير بالمصير المشترك والمستقبل المشترك وأننا جميعاً فى خندق واحد ، وإذا فرطنا فى سقوط واحد منا فستدور الدائرة علينا ؟

أيها المستمع الكريم :

لعل السبيل إلى جمع كلمة المسلمين هو فى هذا كله ، ويزيد عليه اليقين الجازم والرغبة الصادقة ، والأمانى الملحة للأفراد والجماعات بأن هذه الأمة كلما اشتدت بها الخطوب والمحن، شدَّت أزرها ، وجمعت كلمتها ووحدت رايتها ، والتقت تحت قيادة أحد أبنائها ، كما حدث عندما هجم التتار على العالم الإسلامى، فقاومهم المسلمون وهزموهم فى معركة عين جالوت .

وكما حدث عندما هجم الصليبيون على العالم الإسلامى ، فى الحروب الصليبية ، فاستعد المسلمون وهزموهم فى حطين واستعادوا بيت المقدس بعد أن مكث سبعين عاماً فى يد الصليبيين .

وعندما تبجج اليهود وظنوا أن جيشهم لا يقهر ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ ، سورة الحشر ٢ .

وكانت معركة العاشر من رمضان دليلاً على عمق الإيمان ، والأمل والرجاء ، فى هذه الأمة التى قال الله تعالى عنها :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران ١١٠ .

أيها المؤمنون :

إن أشد الناس عداوة لهذه الأمة هو الذى يستطيع أن يصدها عن عقيدتها ، أو يشككها فى صلاحيتها ؛ فإن قوة هذه الأمة فى قوة عقيدتها ؛ وسلامة يقينها ؛ وقد فعل القرآن مع هذه الأمة ما هو أقوى من تحريك الجبال ، وتقطيع الأرض ، وتكليم الموتى ، لقد صنعهم القرآن صناعة ربانية ، فوحَّد صفوفهم ، وجمع كلمتهم، وقوىَّ رابطتهم ، ورسم لهم المثل الأعلى ؛ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة عملية أمامهم ، فى غدوه ورواحه ، وصلاته ونسكه ، وجهاده وعمله ، وصدق الله العظيم ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ سورة الأحزاب ٢١ .

أخى المؤمن :

كل واحد منا على ثغرة من ثغور الإسلام فلا يؤتين من قبله ، لقد وضح الصبح لذى عينين ، وصار واجبا على كل مسلم ، أن يُسهم فى جمع الكلمة ، ووحدة الصف ، ووضوح الطريق ، وفتح باب الأمل ؛ بالعمل الصادق ، والجهد المخلص ؛ وصدق الله العظيم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ الكهف ٣٠ .

إن المسلم يؤدى رسالة فى الحياة ، يقصد بها وجه الله ؛ وأداء الأمانة ؛ وتجديد شباب الإسلام ، الكاتب الصحفى ، يستطيع من خلال كتابته تعميق القيم ، وإبراز الآداب الإسلامية ، والأديب المسلم ؛ يستطيع صنع أبطال القصة المسرحية ، والمقالة والمقامه ؛ هؤلاء الأبطال هم المجاهدون والعابدون والمخلصون ، والقائمون بأمر الله فى صدق وإخلاص ونظافة .

وكذلك الخطيب المسلم ، آن الأوان أن تتحول كلمات الخطيب إلى سلوك وهدف وأمل يحتذى، والرجل المسلم ، والمرأة المسلمة والفتى والفتاة ، والشيخ الكبير والمرأة المسنة ، وكل فرد فى الأمة الإسلامية ، هو عنصر من عناصر الذخيرة الحية ، التى تتحرك فى طريق النور والرجاء ، لتطفئ ظلام الشهوات ، وتحارب اليأس والقنوط قال تعالى ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ يوسف ٨٧ .

وقال سبحانه ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ سورة يونس ٥٨ .

أخى المؤمن :

لنعمل شيئاً ما ، كل فى ميدان عمله ، ولا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقلُّ منه ؛ ولنعد إلى منهج الله ؛ متحابين متعاونين متساندين وصدق الله العظيم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ الصف ٤ .

وعلينا أن نذكر أن عين الله لا تنام، وأنه يحاسب على القليل والكثير والفتيل والقطمير، قال تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ الزلزلة ٧ – ٨ .

وفى الحديث القدسى (ما تقرب عبدى إلى بشىء أحبُّ إلى من أداء ما أفترضته عليه) .



٦ - يوم المدينة

فى يوم المدينة العربية ، وهو يوم نحتفل فيه بنظافة البيئة ونظامها ، ونذكى فى أنفسنا حب النظام والجمال والتنسيق للمدينة وللشارع وللمنزل ولنظافة الإنسان أيًا كان هذا الإنسان رجلا أو امرأة ، شيخاً أو شاباً ، طفلا أو يافعاً فتى أو فتاة .

إننا فى هذا الأسبوع نحاول إحياء تراثنا العربى الأصيل فى ضوء من النظام المعاصر .

وقد رأيت أن أقدم هديا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بناء المدينة المنورة ، فهو الذى بنى المسجد وجعله مؤسسة دينية فكرية ثقافية ، وهو الذى خطط لشوارع المدينة ونَظَّمها وعبَّدها ، وهو الذى خطط للمؤسسات الأخرى والمدافن والمرافق ، وهو الذى بارك إنشاء الجسور والكبارى ، وهو قبل ذلك وبعده صاحب الرسالة وحامل راية الإصلاح ، فقد كوَّن حلفا داخل المدينة بين سائر الجماعات والفئات نحن أحوج إلى مثله فى تعاون المدن العربية والإسلامية ، لنحيا حياة نظيفة متعاونة ، فيها قيم الماضى وأصالته ، وفيها جمال الحاضر وبهجته ، وفيها لمسة من الفرح والسرور والحبور ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ يونس ٥٨ .

الإنسان قبل البنيان :

الإنسان خليفة الله فى الأرض، كرمه الله بالعقل وفضله على كثير من خلقه، وقد هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وبين أهلها خلاف وحروب ، فعمد إلى بناء الرجال وتربية المؤمنين ، وإزالة الأحقاد ، وغرس المودة والمحبة والتعاون على البر والتقوى ، وتحولت المدينة إلى مركز للدعوة والتربية والخير، ولكن ذلك احتاج إلى تخطيط دقيق ، وجهد بالغ فى التنظيم والإعداد .

المدينة قبل الهجرة :

كانت المدينة قبل الهجرة واحات متفرقة فى سهل فسيح يطلق عليه سهل المدينة .

فى هذا السهل الذى يقوم على جانبيه مرتفعات من البازلت الأسود يسميان بالحرتين أو اللابتين .

كانت تتناثر واحات منها قباء ، ويترب والسنح .. وكانت قبائل الأوس والخزرج والمجموعات اليهودية ، تسكن واحات خاصة بها ، لكل جماعة منها (أطم) أى حصن ، وحوله أرض مزروعة ، وأرض للمرعى هى منازل القبيلة أو مجالها ، وبين مجالات القبائل ، كانت هناك مساحات واسعة غير مزروعة أو مسكونة ، وكانت تشق هذا السهل ، أودية جافة فى الصيف ومعظم العام ، وكانت تحمل الماء فى الشتاء ، ولكنها كانت تفصل بعض أجزاء المدينة بعضها عن بعض .

الرسول يخطط للعمران :

أنشأ الرسول صلى الله عليه وسلم مسجده وجعل منه مسجداً ومجمعا للمسلمين ، وبنى حجراته التى عاش فيها حول المسجد ، وتحول المسجد إلى دار للعبادة ومدرسة للتعليم ، وبرلمان للقيادة .

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يعد طريق معبد من المسجد الجامع غربا حتى يصل إلى جبل سلع ، وقد بدأ بنفسه وعمل بيده فى تعبيد الطريق فتبعته الجماعة .

واختار الرسول صلى الله عليه وسلم موضعا فى شرق المدينة ، كان مغطى بالأعشاب والصخور ونبات برى يسمى الغرقد ، فأمر بتسويته وتمهيده ، وأنشأ فيه مدفنا للمسلمين، سمى بقيع الغرقد ، ومد الطريق من بقيع الغرقد إلى المسجد ، وبهذا أصبح فى المدينة طريق واسع مستعرض يمتد من شرقها إلى غربها .

وبنى المسجد وسط منازل بنى عدى بن النجار، ومهد طريقا يصل إلى قباء جنوبا ، وإلى واحة السنح شمالا ، وبهذا تحول سهل المدينة إلى مدينة فعلا ، فإن الناس أخذوا يبنون على جانبى الشارعين الرئيسيين .

واتفق الرسول مع الأنصار على أن له الحق فى التصرف فى كل أرض غامرة لا تتبع أحدا ، فأخذ يعطى من هذه الأراضى واشترط التعمير أى البناء والزرع ، وأقبل الناس يبنون ويزرعون ، واتصلت الواحات بعضها ببعض فتحول السهل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل ذلك يدل على بعد نظر الرسول وصدق تصوره لمعانى التعمير والإنشاء القائمة على التخطيط .

توطين البدو :

اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بإقرار الأعراب ونقلهم من البداوة إلى الحضارة والاستقرار ، وكان ينهى من يستقرون أن يعودوا إلى البداوة .

عنايته صلى الله عليه وسلم بالزراعة :

شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على الغرس والزراعة ، وكان يبارك لمن ينشئ منهم حائطاً (أى أرضا مزروعة عليها سور) . وكان يستحب من أصحابه زرع البر (القمح) والفواكه والنخيل . قال صلى الله عليه وسلم (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو حيوان أو بهيمة إلا كان له بها صدقة)، (من زرع فى الأرض نخلة كانت له روضة فى الجنة) .

ومر عليه الصلاة والسلام برجل يغرس نخلة ووجده شديد الاحتفاء بها ، يزرع فينخل التراب ويصفيه ، ويضعه فى حفرة ويسقيه بالماء ، ثم يضع فسيل النخلة ويسوى عليه التراب بيده ، فقال صلى الله عليه وسلم : هذه يد يبارك الله ما تصنع .

إنشاء الجسور والكبارى :

كان صلى الله عليه وسلم حريصا على أعمار المدينة ، واتصال عمرانها ، وكان يكافئ من أدى عملا نافعاً مفيدا يحقق الترابط والتلاحم والعمران بين أجزاء المدينة .

كان وادى مذبذب يعوق المواصلات داخل المدينة ، فأتاه رجل وقال: ألا أقيم لك معبرا ، لقد تعلمت ذلك فى أرض فارس ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: إنه إن فعل ذلك فله من الأرض ما أحب ، وأقام الرجل وبنوه معبرا - أى قنطرة على الوادى - فأعطاه الرسول ما طلب من الأرض .

جمال البنيان وإحكامه :

كان صلى الله عليه وسلم يحب البناء المحكم ، كان لا يميل إلى التأنق فى المسكن ، ولكنه كان يحب البناء الحسن ، بنى واحد من أصحابه بيتا حسنا ، وكانت فى رحبة الدار بئر، فلما زاره الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ، طلب إليه أن يبنى البئر بالآجر ، ويجعل له وزرة (حافة) من حجر ، وأن يجعل إلى جانبها حوضا من حجر أيضا ، وأن يملأ الحوض كل يوم ، ويغطى البئر والحوض ، حتى لا تقع فيها البهائم والهوام .

النظافة والقدوة :

كان صلى الله عليه وسلم آية من النظافة وكان يأمر أصحابه بذلك ، بل إن الوضوء والاغتسال والطهارة كلها آداب إسلامية تساعد على النظافة .

مر صلى الله عليه وسلم بأصحاب الصُفَّة فلم يعجبه منهم أنهم تركوا الأوساخ تتراكم إلى جوار الصُفَّة ، فنادى أبا ذر وقال : على بالمكتل، وشرع يزيل الوسخ بنفسه ، فأسرع أبو ذر يبكى ويقول : فداك أبى وأمى يا رسول الله ، والله لا عشنا إذا فعلت ذلك عنا ، وأخذ المكتل ونادى أصحابه ، وفى ساعة كانوا قد نظفوا صُفَّتهم وما حولها ، كل ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بعد ذلك : هذا أشبه بالمسلم الصادق ، لا تتركوا وضرا يعيش معكم .

نظافة الثياب والمنزل والشارع :

كانت حجرات النبى صلى الله عليه وسلم آية فى النظافة ، لم يكن يطيق شيئاً غير نظيف ، وكان يكره من الرجل أن يكون زرى الهيئة .

دخل عليه أنس بن قتادة مرة ليكلمه فى شىء فرأى على ملابسه وسخا ، ورأى لحيته شعثاء ، فلم يترك الرجل يتكلم وقال له : أمالك امرأة تنظر فى أمرك، قال : بلى يا رسول الله . قال إذن فامض إليها واجعلها تأخذ من شعرك ، واغسل نفسك وغَيِّر ثوبك وانظر فى أمر نفسك ، فإنك سيد فى قومك ياأنس ، وهذا الذى أراه لا يحسن بك .

لقد كان صلى الله عليه وسلم القدوة العملية فى النظافة وحب النظافة ، فثيابه نظيفة جميلة ، ورائحته طيبة ، وبيته كذلك نظيف ، والشارع الذى يمر منه تنبعث منه الرائحة الطيبة ، وهو حريص على نظافة البيئة وجمالها ، حريص على تعمير المدينة ماديا ومعنويا .

كان يزور المرضى ويشهد الجنائز ، ويصلّى على الأموات من أصحابه ، ويحضر أعراسهم،، ويشاركهم فى أفراحهم وأتراحهم ، بل كان يحث على الترفيه والغناء الجيد ، والبهجة والسروربالحياة ، حتى ينبعث نشاط النفس وتسعد بالحياة والعمل ، زفت عائشة عروسا إلى زوجها فقال صلى الله عليه وسلم: هلا بعثتم معها من يغنى، فإن الأنصار يعجبهم اللهو، فقالت: ماذا يقول المغنى يا رسول الله؟ فأجابها: يقول :

أتيناكم أتيناكم	فحيونا نحييكم
ولولا طاعة الرحمن	ما كنا بواديكم
ولولا الحبة السوداء	ما نبتت بواديكم

نظافة المجتمعات :

حرص الإسلام على نظافة المجتمع وسلامته من الآفات، وهذا سر حرصه على الاغتسال يوم الجمعة ، قال صلى الله عليه وسلم (الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم) .

وكان الأعراب يأتون من البادية ، يلبسون الصوف وتنبعث رائحة العرق منهم، فأمرهم صلى الله عليه وسلم بالاغتسال كل جمعة ، واختيار ثوب نظيف جميل للجمعة والمجتمعات ، فذلك أدعى إلى الألفة والمودة ، وحرم أكل الثوم والبصل ، وكل ما له رائحة كريهة ، عند حضور الجماعات .

قال صلى الله عليه وسلم (من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا)، والمعنى فليعتزل مساجدنا .

وفى رواية عنه صلى الله عليه وسلم (من أكل ثوما أو بصلا فلا يقرب مساجدنا يؤذنا) . وعندما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة طلب إلى عبد الرحمن بن عوف أن يشترى له ولأبى بكر ثوبين أبيضين ، وينتظرهما خارج قباء فى موضع حدده له ، فغسل رسول الله نفسه ولبس الثوب الجديد ، وأصلح من هيئته، وكذلك فعل أبو بكر ، وقد بهر الناس بنظافة ثوبه وثوب أبى بكر ، وبحسن هيئتهما ، ولم يفرقوا بين الرسول وأبى بكر إلا بعد أن رأوا أبا بكر يُظلُّ رسول الله ويحميه من الشمس ، فعرفوا أنه رسول الله، وأقبلوا يسلمون عليه .

دستور المدينة :

تعمير المدينة وتحويلها إلى بلد كان من صنع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووضع قواعد تطبيق المروءة الإسلامية - أى مكارم الأخلاق - كان من صنعه ، النظام السياسى والشورى كان من منهاجه ، قبل أن يضع دستور المدينة ، وضع أساس المؤاخاة ، لكى تبدأ الجماعة الإسلامية على أساس الأخوة والمحبة ، بعد المؤاخاة كانت (الصحيفة) ، والصحيفة هى دستور وضعه الرسول لجماعته فى المدينة ، ليحدد لها نظام العمل فى شئون الجماعة الداخلية ، وتحدد الصحيفة واجبات أعضاء هذه الجماعة وحقوق كل منهم ، فمن واجباتهم العدل والبر ، ولهم الأمن على النفس والمال ، والجماعة كلها هى التى تقوم بحماية الأمن فى داخلها (ويد المؤمنين واحدة على من ابتغى دسيسة فساد بينهم) .

والجماعة متعاونة لمساعدة المحتاج والمدين والمريض ، وهى ملزمة بمعاونته فى فداء أو أسر ، وكل مجموعة قبلية من أهل المدينة مسئولة عن الأمن فى موطنها ، وعن حماية المدينة من ناحيتها ، والأمة كتلة واحدة (يد المسلمين واحدة) ولا تعقد مجموعة صلحا إلا باتفاق الجماعة ، لكل مجموعة رياستها، وهم مسئولون عن جماعتهم من كل ناحية ، والقاعدة فى التعامل هى البر والوفاء دون الإثم . وإذا هوجمت المدينة فلابد أن تشترك جميع الطوائف فى الدفاع. وبهذا الميثاق دخلت جميع طوائف المدينة فى دستورها الجديد ، دخل فيه المسلمون ، وطوائف اليهود، وحصلت كل مجموعة على حقوق المواطن وتحملت مسئولية المحافظة على المدينة والدفاع عنها ، ونشأت أمة متماسكة على أسس أخلاقية ليس بينهم موظف ولا هيئة حاكمة أو هيئة تنفيذية ، لأن الناس كانوا يقومون بما يطلب إليهم من عمل على سبيل التطوع ، لأنهم كانوا يخدمون أنفسهم .

والرسول صلى الله عليه وسلم كان نبى الله وهادى الجماعة وموجهها ، ومعلمها ومبشرها ونذيرها وسراجها المنير .

لقد أصلح الضمير وأيقظ الوجدان ورسم الهدف وجمع الناس على محبة الله والعمل بالقرآن والسنة المطهرة .

قال صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى) .

٧ - الرؤية القرآنية للظواهر الكونية (أ)

القـرآن الكريم كتـاب هداية وإرشـاد ، سلك كل الطرق لدعـوة الإنسـان إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وقدم القرآن الأدلة العقلية والتاريخية والعاطفية ، فى دعوته للإيمـان ، كمـا لفت نظر الإنسان إلى هذا الكون وجماله وبديع نظامه .

وفى آيات القرآن دعوة للتأمل فى ملكوت السموات والأرض ، واعتبار الكون كتابا مفتوحا ناطقا بجمال القدرة وجلال الإبداع .

فلله عـز وجل كتـابان : كتاب نـاطق وهو القـرآن الكريم ، وكتـاب صـامت وهـو هذا الكون الفسيح الذى نشاهده بالليل والنهار والغدو والآصال .

وقد اتجه بعض المفسرين اتجاها علميا متخصصا فى تفسيـر بعض الآيات العلمية والكونية ، ومنهم الفخر الرازى فى تفسيره الكبيـر، فهو يتحدث طويلا عن خلق السماء والأرض ونظام الأفلاك وعلم الهيئة على نحو ما كان معروفا فى عصره بمناسبة كلمة مفردة تتحدث عن السماء أو الأرض .

وفى العصـر الحديث سار فى هذا الاتجـاه الأستاذ الشيخ طنطاوى جـوهرى فى تفسيـره (الجواهر) الذى حشـد فيـه معلومـات واسعة عن علوم الكون والحيـاة وطبقات الأرض ، وزين كلامه بصور متعددة لما يكتب عنه .

وفى مـقـابل ذلك نجـد من العلمـاء من يحـذر من هذا المنهج ويعيب الاتجـاه العلمى فى التـفسيـر، ويرى أن القـرآن الكريم كتـاب هداية يبشـر المؤمنين وينذر الكافرين ، وقد أنزله الله هدى ونورا ورحمة للعالمين .

ومن هؤلاء الإمام الشاطبى فى الموافقات حيث ذهب إلى أن القرآن يجب أن يفهم على نحو ما أنزله الله للعرب المخاطبين به أول مرة .

وهناك اتجاه وسط يرى أن القرآن الكريم كتاب هداية بالدرجة الأولى، ولكنه مع ذلك حـوى عـددا من الأدلة العلمـيـة والمـعـجـزات الكونيـة ، وقـد أمـرنـا الله أن

نخاطب الناس بلسانهم ، وباللغة التى يفهمونها ، ومن هذا البيان شرح هذه الآيات وبيان ما تشير إليه أو ما اشتملت عليه من إعجاز علمى أو كونى .

يقول الإمام محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر .

(يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كى نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية ،ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها) .

وقد كتب الأستاذ المراغى مقدمة لكتاب الإسلام والطب الحديث مدح فيها المؤلف وأثنى على جهوده ، ولكنه لم يوافق على مسلكه فى تفسير آيات القرآن وتحميلها ما لا تحتمله ، فقال :

(لست أريد من هذا - يعنى ثناءه على الكتاب ومؤلفه - ، أن أقول أن الكتاب الكريم قد اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمى المعروف ، وإنما أريد أن أقول إنه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته به ، ليبلغ درجة الكمال جسدا وروحا، وترك الباب مفتوحا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ، ليبينوا للناس جزئياتها ، بقدر ما أوتوا منها فى الزمان الذى هم عائشون فيه) .

وبهذا المسلك المعتدل استطاع الشيخ المراغى أن يوفق بين القرآن الكريم والعلم الحديث فى تفسيره لبعض سور القرآن الكريم ، تفسيراً دينياً توجيهياً يحمل أصول التوجيه والإصلاح لنظم الحياة وإدارتها فكان يخاطب بتفسيره الملوك والحكام ، ويدعوهم إلى العدل والشورى والمساواة، ويحثهم على مكارم الأخلاق والعمل النافع المفيد. ومن هذه المدرسة عدد من العلماء فى العصر الحديث منهم الأستاذ محمود شلتوت والأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز والأستاذ الشيخ محمد المدنى والاستاذ الدكتور محمد البهى والأستاذ الشهيد حسن البنا والأستاذ الشهيد سيد قطب ، وغيرهم فى أنحاء العالم الاسلامى يحملون رسالة القرآن ودعوته إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهو لون من ألوان حفظ الله لكتابه .

قال الله تعالى :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

القرآن وحى السماء

ظهرت دراسات جادة تؤكد صدق القرآن وإعجازه وبعده عن التناقض الذى يوجد فى غيره .

وظهر حديثا كتاب (التوراة والإنجيل والقرآن فى ضوء العلم) وهو دراسة جادة تبرز مزايا القرآن وإعجازه واشتماله على اشارات كونية وحقائق علمية ، لم تصطدم بقوانين من العلم وظهر للناس أن القرآن لا يمكن أن يكون من صنع بشر لأن فيه من الحقائق التاريخية والكونية والفضائية والتشريعية ما لا يستطيع مخلوق أن يقدمه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) .

يقول الأستاذ حامد مصطفى :

« والواقع أن المسلمين أفادوا اليوم كثيرا من الإقبال على العلم الحديث ودراسة الطبيعة والفلك والرياضيات، فظهر ذلك واضحا فى دراسة القرآن وتفسيره وتأويل ما ورد فيه من الإشارة إلى قوانين الطبيعة والنظر فى مجالات الخلق وقواعد السلوك والأخلاق ، ولم يجدوا نصاً فى القرآن أو السنة يأبى على المسلم الأخذ بأسباب الحضارة والعمران ونظام الحكم العادل ، حتى شاع عند العلماء المتأخرين أن الإسلام دين ودولة مستندين فى ذلك إلى ما ورد فى القرآن والسنة من قواعد الحكومة المدنية وقوانين السلم والحرب والثواب والعقاب، إلا أن هذا الاتجاه الجديد لم ينته إلى أسلوب معين فى تفسير القرآن الكريم ، وظل مقصورا على الدراسات والأبحاث الاجتهادية والمحاضرات لا يكاد يجمعه كتاب يدخل فى كتب التفسير وعلوم القرآن . وذلك كثير جداً لا يكاد يحصره عد ولا ترتيب مثل ما كتب العقاد وعلماء الأزهر وكثير من الباحثين .

« ومما يجب الاعتراف به فى مجال تفسير القرآن أنه من بين من نسميهم بالمستشرقين من علماء الغرب وكتابه من أفاد كثيرا فى طريقة دراسة القرآن وأسلوب تفسيره ، ذلك أن المنصفين من بين هؤلاء قد تجردوا من التعصب الذميم،

فـأقبلوا على دراسة علوم الاسلام بالأسلوب الذى تعلموه فى الجامعات ومعاهد العلم، وانكبوا على دراسة الإسلام دراسة جديدة لأنهم وجدوا فيه ما يستحق البحث وتمحيص الحقائق التى شوهها الكتاب المتعصبون أو الذين درسوا الإسلام دراسة سطحية غير وافية . يقول دينسون روس فى مقدمته لترجمة الأستاذ الدكتور جورج سيل ، القرآن الكريم : لقد كانت المعارف التى يملكها أغلب الأوربيين عن الإسلام ، وعلى مدى عصور طويلة مستمدة مما وضعه المسيحيون المتعصبون ، وكان من شأنها نشر مثالب فاحشة عن الإسلام ، فما كان حسنا فى الإسلام كان حظه الإهمال وما كان سيئا فى نظر الغربيين بولغ فيه أو ناله التشويه .

وقد اطلعت على جزء من كتاب لعالم فرنسى درس فيه القرآن دراسة علمية (فتبين له أن كل ما ورد فيه من آيات وإشارات فى علم الفلك والحيوان والنبات والتناسل البشرى يوافق تمام الموافقة معطيات المعارف العصرية التى كانت مجهولة فى عصر النزول، ويخلص من ذلك إلى أن القرآن الكريم كتاب أوحى به الله تعالى إلى محمد وأنه كتاب تقصر عقول البشر عن صنعه) ، والمؤلف هو الدكتور موريس بوكاى (وقد طُبع كتابه باللغة الإنجليزية والفرنسية والعربية عدة طبعات) .

وقد جاء هذا العالم الطبيب على نصوص القرآن فى مادة العلم كالفلك وعالم السماء وعالم الحيوان والنبات وأصل الخلق والتناسل البشرى وما إلى ذلك من المبادئ العلمية وقال: (إن القرآن لا يهدف كما هو معلوم إلى إثبات بعض النواميس التى تتحكم فى الحكم . ذلك أن مقاصده الجوهرية دينية ، وهو إذ يتحدث عن القدرة الإلهية فإنه يدعو الناس إلى التدبر فى ملكوته وفيما أبدعه من أكوان . وتتخلل هذه الدعوة الإلهيه إشارات إلى وقائع يمكن أن يدركها البشر بالملاحظة أو قوانين سنها الله بقدرته وجعل نظام العالم خاضعاً لها . وذلك فى مجال علوم الطبيعة أو فيما يتصل بالإنسان نفسه ، وبعض هذه الإشارات لا يعسر فهمها ، إلا أن البعض الآخر لا يمكن إدراك معناه ، إلا إذا توافرت المعارف العلمية الضرورية لذلك . وهذا يعنى أن إنسان القرون الماضية لم يكن فى مقدوره أن يفقه من تلك الإشارات إلا معناها الظاهرى ، وذلك ما جعله فى بعض الأحوال يستخلص نتائج غير صحيحة ، بسبب نقصان علمه فى عصره ، وفى هذا التقرير يبرر القول بأن القرآن يحتوى على المادة العلمية الضرورية للإنسان ، بوصفه كائنا عاقلا مزودا

بآلة الفهم والتدبر التى تعينه على أن ينهض بالمسئولية التى كلفه الله بها بوصفه مركز هذا العالم .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ الأحزاب ٧٢ .

العلم فى القرآن :

دعا القرآن إلى العلم فى أول آيات تنزلت منه ، وأقسم الله بالقلم وهو أول أداة فى سبيل تحصيل العلم فقال تعالى ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ القلم ١ .

كما أشاد القرآن بمكانة العلم والعلماء فقال سبحانه : ﴿ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ﴾ العنكبوت ٤٩ .

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ ﴾ آل عمران ١٨ .

وقد خاطب القرآن الكريم ذوى العقول الراجحة ، ووجه الحديث إلى أهل الخبرة والمعرفة فقال سبحانه :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾

آل عمران ١٩٠ .

وقال عز شأنه : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ الجاثية ٣ - ٥ .

وهكذا يفصل كتاب الله فى مراحل الوحى المختلفة المقصود بالعلم ، وما انقسم اليه فى عصرنا هذا من فروع وتخصصات ، مثل الفلك والفيزياء ، والكيمياء والأرصاد ، والنبات ، والحيوان ، وطبقات الأرض ، ونحوها ...

تلك العلوم الأساسية التى بازدهارها تزداد الشعوب درجات فى البأس والقوة ودرجات فى الإيمان والتقرب من الله ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ فاطر ٢٨ .

لقد تعرض القرآن فى آيات كثيرة منه - نحو سبعمائة وخمسين آية - إلى مسائل هى من صميم العلم . وذكر جانبا من الحقائق العلمية كقضايا عامة ، ودخل فى تفاصيل بعض الحقائق الأخرى وبذلك نبه الأذهان إلى أهمية البحث وإعمال النظر والفكر، وبتلك الدفعة الكبرى ألف العرب الموسوعات الشاملة فى مختلف فروع العلم والمعرفة فكتب ابن سينا نحو ٢٦٦ كتابا ، فى علوم الطب والفلسفة والمنطق والفلك والرياضة والفيزياء والنبات والحيوان إلخ . والف ابن الهيثم نحو ٢٠٠ كتاب منها كتاب البصريات الذى لقى رواجا بعد تحقيقه فى عصرنا هذا. وصنف البيرونى نحو ١٧٦ مخطوطا على مستوى رفيع ، منها ما عالج فيه العديد من المسائل الرياضية والفلكية الحديثة . وألف الجاحظ ما يربو على ٣٥٠ كتابا ورسالة فى الأدب والشعر مما تفخر به المكتبة العربية .

وفى مجال الرياضيات والحساب وضع العرب أساس الكسر العشرى واستخدموا الصفر على يد جمشيد ، وتعتبر هذه الأعمال أهم خطوة تمت فى سبيل ارتقاء العلوم الرياضية ، والعجيب أن القرآن الكريم يأخذ بالحساب العشرى ، وذلك فى العديد من الآيات التى يستخدم فيها العدد مثل قوله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ الأنعام ١٦٠ .

﴿ إن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ الأنفال ٦٥ .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ هود ١٣ .

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ القدر ٣ .



الرؤية القرآنية للظواهر الكونية (ب)

إذا تأملت كلمات القرآن ، وأجلت بصرك بين سطوره ، وجدت أنه يشتمل على بيان كثير من آيات الله تعالى ، فى جميع أنواع المخلوقات ، من الجماد والنبات والحيوان والإنسان ، ويصف خلق السماوات وشمسها وقمرها ونجومها ، والأرض والهواء والسحاب والماء ، من بحار وأنهار وعيون وينابيع ، وفيه تفصيل لكثير من أخبار الأمم ، وبيان لطريق التشريع السوى الأمثل . وقد حفظ ذلك كله فيه بكلمه وحروفه منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، ثم عجزت هذه القرون التى ارتفعت فيها جميع العلوم والفنون ، أن تنقض بناء آية أو تبطل حكما من أحكامه أو تكذب خبرا من أخباره . وهى التى جعلت فلسفة اليونان دكا ، ونسخت شرائع الأمم نسخاً ، وتركت سائر علوم الأوائل قاعا صفصفا ، ووضعت لأخبار التاريخ قواعد فلسفية ، ورجعت فى تحقيقها إلى ما عثر عليه المنقبون من الآثار العادية ، وحكمت فيها أصول العمران وسنن الاجتماع ، بحيث لم يتبق لعلماء الأوائل كتاب غير منقوض ، وظلت أخبار القرآن وتشريعاته وعلومه وفنونه خالدة باقية . وذلك سر من أسرار الإعجاز فى القرآن فإن الله قد تكفل بحفظه وخلوده ، فقال سبحانه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر ٩ .

القرآن والعلم الحديث :

من إعجاز القرآن الكريم إشارته إلى نشأة علوم حديثة لم يعرفها السابقون وإنما لفت أنظارهم إليها ، كما وجه أبصارهم إلى دراسة الكون وتأمل ظواهره والإحاطة بآيات الله فيه ، وقد حملت آيات القرآن بذور هذا التقدم العلمى وأرشدت إليه وفكت مغاليقه ، وتركت للعقل البشرى بعد ذلك استكمال رسالته حتى يتحقق من صواب نظريته أو خطئها .

قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت ٥٣ .

وقد استخرج بعض علمائنا من القرآن ما يشير إلى مستحدثات الاختراع وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية، وبسطوا كل ذلك بسطا فى موضعه ، من ذلك أن الصعود إلى أعلى يلزمه حتما ضيق الصدر ، أى الاختناق بسبب نقص الأكسجين، وهذا يفسر لنا قوله تعالى ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ الأنعام ١٢٥ .

ومن الثابت أن للأرض جاذبية ، وللأفلاك الأخرى كالشمس والقمر جاذبية ، ويحتاج الإنسان إلى سرعة جبارة ليندفع فى الفضاء متخلصا من جاذبية الأفلاك وفى ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ الرحمن ٣٣ .

وما هذا إلا سلطان العلم، وهو أقوى ما حصل عليه الإنسان وأعظم ما منح، وبه ملك زمام الأرض والسماء .

ويقول الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ الفرقان ٦١ .

والبروج مجموعات النجوم المعروفة بالدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء والأسد والسرطان والعذراء ، والميزان والعقرب والقوس والجدى .

أما السراج فهى الشمس المضيئة ، والإعجاز هنا إشارة القرآن إلى أن وظيفة القمر هى مجرد التنوير برد ضوء الشمس الساقط عليه ، أما الشمس فهى مصدر الطاقات التى ترسلها عبر الفضاء الكونى كما يرسل السراج المتقد الضوء والحرارة

قال تعالى فى سورة نوح ١٦ ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ .

وفى سورة النبأ ١٣ ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ .

وقطر الشمس أكبر من قطر الأرض مائة مرة وتبلغ درجة حرارة سطحها من ٦٠٠٠ درجة مطلقة إلى ١٠ مليون درجة .

وتمدنا الشمس بكافة أنواع الطاقات التى تشرق بها الأرض ، وتزدهر الحياة

فى كنفها ، ويشير القرآن الكريم إلى تغير تلك الطاقات بتغير الشهور والمواسم حتى يعم النفع ولايمل الناس من حر دائم أو برد مستمر .

يقول سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾ الفرقان ٤٥ .

كما يشير القرآن إلى بعض الظواهر الفلكية فى تحديد مسار الشمس فهى تجرى ومعها سائر أجرام مجموعتها بسرعة تبلغ عدة مئات الأميال فى الثانية .

ورغم سير الشمس المستمر ، فإنها لا تتخلف عن وظيفتها ، ولا تظهر فى غير أوانها ، كما أن للقمر مداره ومنزلته وفلكه الذى يسبح فيه ، وقد قدر الله كل ذلك بنظام بديع وتقدير محكم لا يختل ولا يضطرب ، وفى إعجاز رائع وأسلوب حكيم ينطق القرآن بهذه الظاهرة ، فيقول سبحانه : ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ يس ٣٨ - ٤٠ .

القرآن وعلوم الفضاء :

أشار القرآن إلى أسفار الفضاء ، وذكر أن أجرام السماء تظل تسبح على الدوام إلى ما شاء الله ، حيث لا يوجد فى الفضاء الكونى ما يعوق حركتها أو يغير من سرعتها مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ الأنبياء ٣٣.

ومن العجيب أن يذكر القرآن أسفار الفضاء كلها على أنها تتم فى مسارات منحنية ، والحقيقة أن الفضاء لا يعرف الخط المستقيم ، انظر إلى قوله تعالى فى سورة المعارج : ٤ ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ .

وفى سورة سبأ : ٢ ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ .

وفى سورة الحِجْر : ١٤ ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ .

وحين انفتح أمام الإنسان باب الوصول إلى القمر ورحل إليه مرة بعد أخرى رأى نفسه ينطلق فى مسارات منحنية أو متعرجة ، ولا يسير فى خطوط مستقيمة ، وعندما صعد رواد الفضاء فوق جو الأرض ، نظروا إلى الأرض فرأوها قبة زرقاء معلقة فى الفضاء ، وأصبح فى مقدورهم تمييز الخط الفاصل بين الليل والنهار حول محورها ، ولقد أشار القرآن إلى هذه الحقائق بأسلوبه المعجز وبيانه الحكيم قال تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ الزمر : ٥ .

﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ ﴾ النور : ٤٤ .

وقد أشار القرآن إلى أهمية الجبال فى حفظ توازن الأرض ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ النحل ١٥ .

وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ النبأ ٦ - ٧ .

وثبت علمياً أن قشرة الأرض ميزان حساس، فكل مكان فيه هو كفة متوازنة مع كل مكان آخر ، فإذا تغير الثقل على مكان ما اضطرب هذا التوازن ونجمت عن ذلك هزات الزلازل ، وتصاعدت القشرة اليابسة لإعادة هذاالتوازن ، والجبال بمقتضى عوامل التعرية تزول ببطء شديد ، ولعل هذا ما تشير إليه الآية الكريمة .

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل ٨٨ .

ومن الإعجاز العلمى للقرآن ما كشف عنه العلم من تلاقح النبات وأنه أزواج ؛ قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾ . يس ٣٦ .

وقال سبحانه : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ طه ٥٣ .

﴿ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ الرعد ٣ .

وقال عز شأنه : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ الحجر ٢٢ .

وقد ظن فريق من العلماء أن الآية تشير إلى تلقيح الرياح لبعض النباتات كما هو معروف . ولكن هذا المعنى لا يربط الجزء الأول من الآية بجزئها الثانى وهو إنزال الماء العذب .

فالآية تشير إلى ما تسببه الرياح من تسخير السحاب وانزال المطر ، واثراء الحياة بالخيرات والنبات والمرعى مما يستحق التفكير والتأمل .

﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة ١٦٤ .

وقد أقسم الله تعالى بالنجوم فى تعبير بلغ ذروة الإعجاز فى وصف أبعاد النجوم واتساع الكون المادى بصفة عامة ، قال تعالى :

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ الواقعة ٧٥ : ٧٦ .

ومن آيات القرآن الكريم يتضح لنا أن لله عز وجل كتابين ، كتاب مفتوح وهو الكون يقرؤه العالم والجاهل والكبير والصغير والمتعلم والأمى ، وكتاب مقروء ، أنزله على نبيه ليرشد الناس إلى آثار قدرة الله بديع السماوات والأرض .

ورغم أن المقصود الأسمى من هذا الكتاب هو الهداية والإرشاد إلا أنه مع ذلك حوى أصول الإعجاز التشريعى والنفسى والبيانى والعلمى .

وإن من أدلة إعجاز هذا الكتاب أن يخطئ الناس فى تفسيره على اختلاف العصور لضعف وسائلهم العلمية ولقصر حبالهم أن تعلق بأطراف السماوات أو تحيط بالأرض ، ثم تصيب الطبيعة نفسها فى كشف معانيه ، فكلما تقدمت العلوم ونازعت إلى الكشف والاختراع واستكملت آلات البحث ظهرت حقائقه الطبيعية ، ناصعة حتى كأنّ القرآن غاية لا يزال عقل الإنسان يتطلع إليها .

ولا عجب فى ذلك ، فالعقل أثر من آثار الله ، والوحى أثر من آثار الله وآثار الله لا تناقض بينها ولا اضطراب .

قال تعالى : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ الملك ٣ .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف ٢١ .

عناصر الجمال الفنى فى القرآن :-

من نواحى الإعجاز فى القرآن الكريم أنه يعرض أمامك الصورة البارعة التى تأخذ بالألباب وتستولى على الأفئدة فتتحول إلى مشهد رائع أو لوحة خالدة .

وقد نزل القرآن على العرب والأمية فيهم منتشرة فعرض عليهم كتاب الكون بكل ما فيه ، وقدم لهم لوحات خالدة وصورا مثيرة تستلفت نظر الأعمى والبصير والأمى والمتعلم ، والمرأة والرجل ، والشيخ والشاب ، فهو كتاب العامة والخاصة على السواء .

وقد كان القرآن المكى يستلفت أنظار الناس إلى جمال هذا الكون وبديع صنعته ، ويسترسل فى سوق الأدلة المتتالية حتى يأخذ على النفس كل طريق فلا تجد سبيلا من الإذعان والإيمان عن قناعة حقة بأن هذا الكون لم يخلق عبثاً ولن يترك سُدًى .

وفى أول آيات القرآن التى نزلت على النبى بمكة وهو فى غار حراء يتلو الوحى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

آيات قصيرة موجزة ، وأسلوب بسيط آخاذ ، وحقائق عن الكون وخالقه والقراءة والعلم .

فالقراءة باسم الله الذى خلق كل شىء ، خلق السماء والأرض والجبال والبحار والليل والنهار والهواء والفضاء ، وسخر الشمس والقمر وأبدع الكون كله فى نسق رائع وجمال خالد .

وكما يعرض القرآن الكون الفسيح أمام الإنسان، فإنه يستعرض النفس البشرية بكل أسرارها وإبداع خلقها ودقة تركيبها.

حتى يفكر الإنسان فى أصله ، كيف تم تكوينه حتى أصبح خلقا بديعا جميلا فيقول سبحانه :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ .

ويقول الله فى آية أخرى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ، خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ الطارق ٥ : ٧ .

وهذا الحديث عن البدء والمعاد يعرضه القرآن فى هدوء ويسر بدون إغراب أو ابتذال ، حتى يوشك أن يكون كلام النفس ، فهو السهل الممتنع وهو النسق العالى والأدب الرفيع الذى يمتع العقل والفكر ويرضى العاطفة والذوق سواء بسواء.

وفى الحديث الصحيح أن عمر رضى الله عنه لما سمع قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ المؤمنون ١٢ - ١٤ .

قال عمر متعجباً : (فتبارك الله أحسن الخالقين) .

وتبسم النبى صلى الله عليه وسلم لنطق عمر ، فلما سأله عمر عن سر تبسمه قال : إن الله ختم الآية بما نطقت به .

وقد فرح عمر بذلك وقال : وافقت ربى ووافقنى ربى .

وليس ذلك بعجيب على عمر، فقد جعل الله الحق على لسانه وقلبه ، وقال فيه النبى : إنه كان فيمن مضى ملهمون ، ولو كان فى أمتى ملهمون لكان عمر .

وإذا تأملت آيات القرآن ، رأيتها تعرض تطور الجنين وتكوينه فى صورة مشرقة تنبض بالحياة والحركة ، فإذا المعنى الذهنى حركة ومشهد ، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حى ، وإذا اللفظ القرآنى يعرض الحياة بكل أطوارها .

فإذا ذكرنا أن الأداة التى تصور الحياة إنما هى ألفاظ جامدة ، لا ألوان تصور، ولا شخوص تعبر ، أدركنا موضع الإعجاز فى تعبير القرآن الكريم .



٨ - سليمان رشدى والآيات الشيطانية

سليمان رشدى مسلم من أصل هندى يتخذ من بريطانيا موطنا له تزوج عدة مرات ويغلب على زواجه النفعية والبحث عن المال .

أصدر مقالا منذ عدة سنوات ، فيه تهجم على الوحى والنبى وزوجات النبى ولقى هذا المقال بعض الاهتمام .

أصدر رواية عنوانها الآيات الشيطانية فيها ما يأتى :

١ - طائرة ركاب أصابها عطب فهبطت فى جزيرة واسعة بقى اثنان من ركابها على قيد الحياة .

٢ - رأى أحدهما فى منامه أنه رجع القهقرى إلى القرن السابع الميلادى ، حيث هبط فى مكة ببلاد العرب وشاهد رجلين يدعيان النبوة وكلٌّ منهما يكذِّب الآخر .

٣ - أحدهما كان شديد الذكاء فادعى أن الوحى ينزل عليه وتزوج إحدى عشرة امرأة وحول بيته ماخورا وسمح لأتباعه بارتكاب البغاء مع زوجاته .

تعليق

من الظاهر أنه يُلمِّح بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن أسماء النساء فى الرواية كانت مطابقة لأسماء زوجات النبى صلى الله عليه وسلم .

ولد النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٥٧٠ من ميلاد المسيح وبعث بالرسالة سنة ٦١٠ وهاجر إلى مكة سنة ٦٢٣ م ولقى ربه سنة ٦٣٣ م وعمره ٦٣ سنة .

نبذة عن أدلة الإيمان

الوحى إلى الرسـول صلى الله عليـه وسلم ثابت بالنقل والعـقل والتـاريخ والفطرة، فمستوى القرآن وما فيه من أخبار تاريخية ومستقبلية وعلمية لم تكن تتأتى لرجل عاش فى القرن السابع الميلادى إلا عن طريق الوحى .

أخبر القرآن عن رسل سابقين وأمم سابقة، وصوب أمورا كانت فى التوراة وأتى بأخبار جديدة لم تكن فى الكتب السماوية السابقة .

كتب موريس بوكاى فى كتابه : (التوراة والإنجيل والقرآن فى ضوء العلم) يقول : تعرضت التوراة كما تعرض الإنجيل لأخبار أثبت العلم عدم دقتها لكن القرآن لم يأت بخبر وحقيقة علمية يناقضها العلم .

تكلم القرآن عن النحل وعن اللبن وعن خلق السماء والأرض والبحار والأمطار والهـواء والرياح والليل والنهـار والشـمس والقـمـر والنجـوم وسـائر مظاهر الكون بأسلوب علمى ، كلما تطور العلم أكد أن هذه المعلومات صادقة وليست من أفكار إنسان لأنها جاءت بحقائق لم يكتشفها العلم إلا فى عصر متأخر .

أصبح التقدم العلمى مؤكدا لحقائق تؤيد أن هذا الكون فى إبداعه ونظامه لابد له من قوة عليا تحفظ توازنه ونظامه وجماله .

فالشمس لو اقتربت منا أكثر لذاب الجليد فى المحيطات وغرقت اليابسة ، ولو بعدت عنا أكثر لتجمد الماء وتعطلت الملاحة وقلّ المطر وتخلف العمران ، والهواء لو زادت فيه نسبة الأكسجين لكثرت الحرائق واشتعلت الغابات من شرارة واحدة ولو زادت فيه نسبة الأدروجين لضج الناس وتعطل الإنتاج .

والفطرة الإنسانية تبين أن الإنسان فى الشدة يلجأ إلى الله ، بل إن وصول الإنسان إلى القمر أكد نظام الكون وإبداعه وأن يدا حانية تحفظه وتمسك بنظامه إلى حين .

تلك هى يد الله السميع البصير القائل ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ الحجر ١٩ .

والقائل ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ الرعد ٨ .

والقائل ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ الحجر ٢١ .

فهو سبحانه يسخر السحاب ويسوق المطر ويرسل الشمس والقمر والليل والنهار ،ويخلق الإنسان ويسبب الأسباب، بل إنه هو الذى خلق العقل والإرادة وترك الناس أحرارا فى تفكيرهم ليستحقوا الجزاء العادل يوم القيامة بالنعيم أو الجحيم قال تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ هود ١١٨ : ١١٩ .

رد على سليمان رشدى :

حاول سليمان رشدى أن يتهجم على الرسول الأمين ، وعلى زوجاته أمهات المؤمنين .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو أعظم عظماء التاريخ وهو الذى حول وجه التاريخ وغير المثل الأعلى فقد كان المثل الأعلى للعربى هو السلب والنهب والصعلكة ، وخطف المال والنساء والأطفال ، فلما جاء الإسلام صار المثل الأعلى هو الأمانة والعفة والاستقامة والجد والجهاد فى سبيل الله .

وتزوج صلى الله عليه وسلم من خديجة بنت خويلد، ولم يتزوج عليها فى حياتها .

ثم تزوج بعد الهجرة إلى المدينة عددا من الزوجات لأغراض تشريعية وإنسانية .

تزوج من عائشة إكراما لأبيها ، وكذلك حفصة بنت عمر إكراما لوزيره عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ،وتزوج من أم سلمة رعاية لأولادها بعد استشهاد زوجها، وتزوج من صفية بنت حيى بن أخطب سيد اليهود بعد غزوة بنى المصطلق،

وكان من شأن العرب أن يتزوج الملك المنتصر بنت الملك المغلوب، فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم أعتق المسلمون الأسرى من بنى المصطلق وقال المسلمون: لا نسترق أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أيمن امرأة على قومها .

وتزوج صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان . وكانت قد هاجرت مع زوجها إلى الحبشة ، فتنصر زوجها وتركها فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتب إلى النجاشى أن ينوب عنه فى إبلاغ أم حبيبة برغبة النبى صلى الله عليه وسلم فى الزواج منها ، فكان الزواج نعمة عليها ، وأمهرها النجاشى ٤٠٠ دينار نيابة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وهكذا نجد أن لكل زواج بزوجة حكمة معينة ، وكانت لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم مهمة سامية هى نقل العلم والفقه والآداب الإسلامية إلى المسلمات، وقد سماهن الله أمهات المؤمنين .

قال تعالى ﴿ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ .

أمهات المؤمنين :

كانت زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم تروى الحديث وتقدم الفتوى وتنقل للمسلمات والمسلمين أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه وإرشاده ونسكه، وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم كانت لزوجات النبى صلى الله عليه وسلم منزلة سامية عند الخلفاء الراشدين فكانوا يستشيرونهن فى كثير من الشئون. وعرف عن أمهات المؤمنين الزهد والعبادة وكل نواحى الخير والفضل .

أدب بيت النبوة :

وجه القرآن الحديث إلى نساء النبى صلى الله عليه وسلم بالقصد فى زينة الحياة الدنيا ، والرغبة فيما عند الله تعالى ولزوم البيت ، والبعد عن التبرج والإقبال على ذكر الله ، والالتزام بالصدق والصبر والخشوع والصوم وتلاوة القرآن الكريم .

ولا شك أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة وأسوة كريمة ومثل أعلى لسائر النساء ، وفى أعقاب نصح القرآن الكريم لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم قرن بين الرجال والنساء فى الأجر والثواب لمن تخلق بالأخلاق الكريمة.

قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ الأحزاب ٣٥ .



٩ - مفاتيح السعادة فى القرآن والسنة

حفل القرآن الكريم بلفت نظر الإنسان إلى جمال الكون وتناسقه، فالسماء عالية ، والجبال راسية والمياه جارية (وكل شىء عنده بمقدار). كما عنى القرآن ببث روح الرضا والقناعة والطمأنينة فى نفس المؤمن قال تعالى ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ البينة ٨ .

وقال سبحانه ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ يونس ٥٨ .

السعادة فى السنة :

بينت الأحاديث النبوية أهمية الرضا والتكيف النفسى وهدوء الباطن، وهذه الصفات تؤثر فى تكامل الشخصية، قال صلى الله عليه وسلم (من أصبح آمنا فى سربه ، معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) .

وجاء رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يشكو إليه الهم والحزن فعلمه هذا الدعاء .

(اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ماض فىَّ حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى وذهاب غمى وحزنى) .

ودخل صلى الله عليه وسلم المسجد فوجد فيه رجلا حزينا فقال له قل :

(اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) .

أهمية الصبر والإيمان :

إن كتاب الله تعالى يأخذُ بيد الإنسان إلى الثبات والتجلد والصبر فيقول سبحانه :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ البقرة ١٥٥ : ١٥٧ .

إن الصبر على الآلام ، واحتمال المصائب والإيمان بالقضاء والقدر يساعد المؤمن على الصمود والشموخ واستكمال الإيمان .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال: كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته فقال لى: يا غلام، هل أعلمك كلمات ينفعك الله بهن فى الدنيا والآخرة ؟ قلت: بلى يا رسول الله علمنى . فقال لى يا غلام :

(احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف) .

ولهذا الأثر النبوى أهمية كبرى فى الثقة بالنفس والاطمئنان وراحة الضمير ، فالمؤمن إذا أطاع الله حفظه الله ، وإذا علم أن الله هو النافع وهو الضار وهو المعطى وهو المانع ، استقر فى قلبه يقين من الاعتماد عليه سبحانه والثقة بما عنده . فسار فى الحياة واثق الخطى قرير العين مرفوع الجبين .

الخير والشر :

يتعرض الإنسان فى الحياة لألوان من المرض أو الفقر أو الآلام ، وأحيانا يكون المرض نعمة حيث يذكر الإنسان بالله ويمقدار ضعفه وحاجته إلى ربه ، وبمقدار حاجته إلى تذكر الآخرة، وقد يكون الفقر حافزاً للإنسان إلى الاجتهاد والمثابرة. وكثير من التابعين والمجتهدين والمخترعين كانوا فقراء أو نشأوا فى بيئة فقيرة .

وفى القرآن الكريم يقول الله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ٢١٦ .

والآية تتحدث عن القتال ، والنفس بطبيعتها ربما كرهت القتال لأنه يعرض الإنسان للقتل أو الإصابة أو العاهة المزمنة، وربما كرهت النفس القتال لتبعاته لكن القتال أحيانا يكون لازما للدفاع عن النفس أو حماية المستضعفين أو الوقوف فى وجه الطغاة، أو إزالة الطواغيت، فيكون القتال وسيلة إلى الخير وهو رفع راية الدين وقهر المفسدين .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء ١٩ .

أى أن الرجل ينبغى أن يعاشر زوجته بالمعروف وهو كل ما عرف عن الشرع حسنه، مثل حسن المعاملة ، والنفقة وأداء الواجبات وكف الأذى ، فإذا كره الإنسان زوجته لسبب مًّا مثل كبر سنها ، أو النفور منها فليصبر ولا يسارع إلى الطلاق ، فإن الطلاق يهتز له عرش الرحمن . وعسى أن تكون هذه المرأة فيما بعد أم ولدك والمحافظة على عرضك وبيتك .

وتلاحظ أن بعض المفسرين يخص الآية الأولى بالحرب والآية الثانية بأمور الزوجة .

لكن القاعدة فيهما يمكن أن تكون عامة فى شئون الحياة .

فهناك أشياء معينة فى الدنيا نكرهها ونتمنى ألا تقع لنا ثم نكتشف فى المستقبل أن هذا الذى حدث من الألم أو المرض نعمة من الله على الإنسان .

فالشدائد والمكاره تصنع الناس صناعة طيبة كالذهب الإبريز لا يزيده دخول النار إلا لمعانا وبريقا . وبذلك يتحقق الإعجاز القرآنى فى معنى قوله سبحانه :

﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ٢١٦ .

الوسواس الخناس :

الشيطان اللعين من شأنه أن يوسوس للإنسان بالشر وأن يغريه بالمعصية، فإذا ذكر المؤمن ربه سبحانه وتعالى خنس الشيطان وابتعد ، فقد جعل سبحانه كيد الشيطان ضعيفاً، وهو لا يسيطر إلا على الضعفاء والراغبين فى الشر، قال سبحانه

وتعـالى ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ النحل ٩٩ : ١٠٠ .

وقد بين القرآن أن المؤمن يجابه الشيطان ولا يطيعه قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ الأعراف ٢٠١ .

الوسواس المرضى :

من إعجاز القرآن إشارته إلى أمور لم تكتشف إلا بعد فترة طويلة من زمن نزول القرآن الكريم .

فقد ثبت أن الإنسان قد يكون سليما فى جسمه ولكنه مريض بالوساوس والأوهام ، ونسبة كثيرة من الذين يترددون على الأطباء أمراضهم أمراض متوهمة، وأحيانا يسبب توهم المرض ، التمارض والضعف فإذا عرف الإنسان أنه سليم من المرض تماما عاد من عند الطبيب فى قوة مضاعفة، وقد حذرنا القرآن من الوساوس والوهم وعلمنا أن نستعيذ بالله من هذه الوساوس فى الصباح والمساء.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بالمعوذتين فى الصباح والمساء وهما سورة قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس.

لقد دعانا الدين إلى هدوء الباطن وسلامة الداخل فالعمر بيد الله والرزق بيد الله، وسيستوفى الإنسان عمره كاملا ورزقه كاملا فى هذه الدنيا ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم (إن روح القدس نفث فى روعى أن نَفْسًا لن تموت حتى تستوفى أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب).

إنَّ سلامة الإنسان من الخوف والتردد والوهم والوساوس نعمة كبرى، وهذه السلامة ترياق وبلسم وسعادة، وينبغى أن نبارك فى أنفسنا ذلك ونتحدث بصوت مسموع كلَّ يوم ، يقول الإنسان لنفسه :

أنا سعيد أنا مؤمن بالله وبالقضاء وبالقدر ، راغب فى الخير عازف عن الشر والحقد والحسد والبغضاء والسوء . ويقاوم الإنسان نفسه فى قهر كل سبيل إلى الحقد والحسد وإضمار الشر للناس ، ويبارك فى نفسه الرغبة فى الخير والجميل ومساعدة الضعفاء، وبهذا يسير بخطوات ثابتة نحو الصحة النفسية ، نحو سعادة

الباطن ، نحو السيطرة على الأنانية والحقد والتردد ، وبهذا يتسامى المؤمن ويطهر نفسه من الرزايا .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ الشمس ٧-١٠.

إننا نستطيع أن نساعد أنفسنا وأن نغيِّر من سلوكنا نحو الأفضل وأن نحاول زرع المحبة والمودة والخير والعطف والود فى قلوبنا وقلوب الآخرين ، وأن نساعد الضعفاء واليتامى والأرامل والمحتاجين ، فنعطى السعادة للغير ، ونسعد بسعادتهم (والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه) إننا نستطيع أن نفتح أبواب الملكوت ، وأن نناجى الله بالذكر والطاعة والعبادة وتلاوة القرآن وصيام رمضان وصلاة التراويح وإخراج الزكاة والتماس ليلة القدر بالذكر والطاعة والصدقة وأفعال الخير فيغير الله حالنا إلى الأحسن ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ وكل هذه المعانى تجسد استعاذة المؤمن بالله تعالى من الوسواس الخناس، ومن كل وسوء داخلى ومن كل إحباط أو تردد أو ضعف فى العزيمة أو خوف ..

إن أهم ما ينبغى أن نخافه هو الخوف نفسه، وسنكتشف بعد حين أنه لم يكن هناك أى مكان لخوف الإنسان، فالخوف مرض داخلى تقهره بالاستعاذة بالله وبالعمل وبالأمل، وبفتح نوافذ السعادة وأبواب الخير والنور وأن نردد دائماً قوله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ ، مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ سورة الناس ١ : ٦ .





الباب الثانى

نور على الطريق

١٠ - عمـل المـرأة

١ - تشيـر آيات فى سـورة القـصص إلى عـمل بنتى نبىّ الله شـعيب فى رعى الغنم، وتشيـر آيات فى سورة النمل إلى قصة ملكة سبأ ، وهى امـرأة تسمى بلقيس اشتغلت بالملك ورئاسة الدولة ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

وتفيـد نصـوص السنـة إلى أن المـرأة كانـت تعمل فى منـزلها وخـارج منـزلها ، ولكن الأعم الأغلب هو عملها داخل المنزل .

وتفيـد نصـوص فى التـوراة والقـرآن إلى أن المـرأة تابعـة للرجل فى السكن والمعيشة باقتضاء الفطرة ، وهو الحق الواضح الذى يعد ما خالفه شذوذا .

قال تعالى : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ الأعراف ١٨ .

وقال تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ النساء ١ .

وقال تعـالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم ٢١ .

٢ - من تفسير القرطبى :

قال تعـالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

القصص ٢٣ .

جاء فى تفسير القرطبى لهذه الآية ما يأتى :-

فى هذه الآية ٢٤ مسألة ...

المسألة الثانية : إن قيل كيف ساغ لنبى الله الذى هو شعيب (ص) أن يرضى لابنتيه بسقى الماشية ؟ قيل له : ليس ذلك بمحظور ، والدين لا يأباه ، وأما المروءة فالناس مختلفون فى ذلك ، والعادة متباينة فيه ، وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ، ومذهب أهل البدو غير مذهب الحضر ، خصوصا ، إذا كانت الحالة ضرورة ، (تفسير القرطبى وابن كثير والفخر الرازى وروح المعانى) .

٣ - تقسيم الأعمال :

إن نصوص الدين وتاريخ البشرية وآدابها ، تشير إلى أن نظام الأسرة ينبغى أن يوضع على الأصول الآتية :-

(أ) إلى الرجل تكون إعالة الأسرة ورعايتها وحمايتها ، والقيام بما هو عسير وشاق من خدمات التمدن ، فيكون تعليمه وتربيته على النحو الذى يجعله أنفع ما يكون لهذه المقاصد .

(ب) وإلى المرأة تكون تربية الأولاد وواجبات البيت ، والعمل على جعل الحياة المنزلية بحبوحة أمن ودعة وراحة ، فتحلى بأحسن ما يكون من التربية والتعليم ، لأجل قيامها بهذه الخدمات .

٤ - عمل المرأة فى أضيق الحدود :

يذكر الأستاذ محمد عزة دروزة : أن عمل المرأة الطبيعى هو : الزوجية والأمومة ومشاغل البيت والأسرة ، وهو عمل كبير وخطير وليس فيه حط لقيمة المرأة ، أو تعطيل لقواها ومواهبها .

والمرأة فيه تقوم بما يماثل قيمة ما يقوم به الرجل من أعمال ، وكل ما هناك من فرق هو اختلاف فى النوع مُتأتٍ عن اختلاف فى الطبيعة الجنسية.

وفى الحديث المشهور الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عمر ... (ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل فى بيته راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنه....) . وليس من شأن هذا أن يمنعهن من ممارسة نشاطات عديدة ، اجتماعية بل وسياسية فى نطاق الاعتدال وخدمة المجتمع .

وعلى هذا فكل عمل يخل برسالة الزوجية والأمومة يخرج من صفة (المشروع) ولو كان فى حد ذاته مشروعا .

ومن الحق أن نذكر أن عدد المشتغلات بالنشاط الاجتماعى يظل هو الأقل ، وأن الأكثر يظل مشغولا ببيته وأمومته وحياته الزوجية ... فالحق يكون اضطلاع المرأة بالأعمال التكسبية فى نطاق ضيق من جهة ، ومناطا بالدرجة الأولى بالحاجة والضرورة من جهة أخرى .

(المرأة فى القرآن والسنه محمد عزة دروزه ص ٥٣ ، ٥٤) .

٥ - البيت المسلم :

البيت المسلم واحة وارفة الظلال، فيه زوجة تلزم بيتها وتعنى بتربية أطفالها، وهى أمينة على بيت زوجها وعرضه ، لا تبرح بيتها إلا لسبب ، فإذا خرجت فهى بعيدة عن أعين الرجال ، حريصة على صيانة نفسها حتى تعود إلى بيتها .

وكان الامام على رضى الله عنه يقسم عمل البيت بين أمه وزوجته ، فيقول لأمه فاطمة بنت أسد ، اكفى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاية الماء والذهاب فى الحاجة ،وتكفيك الداخل : (الطحين والعجين) .

ولا يزال هذا النظام متبعا فى عدد من البلاد المحافظة ، فعلى الشابات ما كان من الأعمال داخل البيت ، أما التسويق والاتصال بخارج البيت فلكبيرات السن ، وهذا أصون للعفاف .

وكل من فى البيت يعمل مهما كانت منزلته الاجتماعية ، فعن عبد الله القرشى قال : دخلت على هند بنت المهلب بن أبى صفرة وهى امرأة الحجاج وبيدها مغزل تغزل به ، فقلت لها : تغزلين وأنت امرأة أمير ؟ فقالت: إن أبى يحدث عن جدى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أطولكن طاقا أعظمكن أجراً) والطاق ضرب من الثياب التى تنسج بعد الغزل .

وفى الحديث الآخر : (ونعم لهو المؤمنة فى بيتها الغزل) .

إن رسالة المرأة فى بيتها لا تقل أهمية عن عملها خارج المنزل ، ولا ينبغى أن نعتبر المرأة المتفرغة لشئون الأسرة خالية عن العمل ، بل هى جندى مجهول ، يعطى ويحمل ويلد ويربى ، وهو قانع بما يراه أمامه من غرس يده ونتاج تعبه .

يقول الأستاذ سيد قطب :

(إن خروج المرأة لتعمل كارثة على البيت ، قد تبيحها الضرورة ، أما أن يتطوع الناس بها وهم قادرون على اجتنابها ، فتلك هى اللعنة التى تصيب الأرواح ، كما تصيب الضمائر والعقول فى عصور الانتكاس والشرود والضلال) .

(سيد قطب ، السلام العالمى والإسلام ص ٧٠) .



١١ - المسكرات والمخدرات أضرارها وأحكامها

عرف العرب الخمر ومدحوها فى أشعارهم وتحدثوا عن أسباب شربها ،فهى تولِّد فيهم الشجاعة والجرأة وتنسيهم آلام الفقر على حد قول الشاعر :

فإذا سكرت فانني رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فإننى رب الشويهة والبعير

وقد كان الشارع حكيما فى التدرج فى التشريع، فقد حرم الخمر بالتدريج ، كما حرم الزنا بالتدريج ، تقول عائشة رضى الله عنها « لو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر لقال الناس لا نترك الخمر أبداً ، ولو نزل أول ما نزل لا تقربوا الزنا لقال الناس لا نترك الزنا أبدا ، وإنما نزل أول ما نزل آيات تدعوا إلى الإيمان بالله واليوم الأخر حتى إذا استقر الإيمان فى القلوب حرم الله الخمر وحرم الزنا .

لقد نزلت آيات فى مكة تحذر من الزنا ولم تُشرع عقوبة للزناة بمكة .

ففى سورة الفرقان مدح الله عباد الرحمن بصفات متعددة منها بعدهم عن الزنا ، وفى سورة الإسراء وهى من أواخر ما نزل بمكة يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ الإسراء ٣٢ .

وفى سورة النور التى نزلت فى اعقاب غزوة بنى المُصْطلق حوالى سنة ٦للهجرة أنزل الله تحريم الزنا وشرع عقوبة رادعة له واعتبر الزنا جريمة جنائية ويجب على شرطة الدولة وإدارتها معاقبة الزناة وإقامة الحد عليهم بشروط معينة؛ وكذلك تحريم الخمر مرّ بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : بيان أن ضرر الخمر أكثر من نفعه ، والمعروف أن ما كثر ضرره وجب تركه قال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ البقرة ٢١٩ .

فترك الخمر بعض الناس ، ولم يتركها الجميع .

ثم قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى ﴾

سورة النساء ٤٣ .

فترك الخمر بعض الناس ، وشربها بعضهم فى غير أوقات الصلاة .

ثم حرم الله تعالى الخمر تحريما قاطعا مبينا مفاسدها وآثامها . محذراً من إفسادها لدين المسلم وقواه العقلية كما وردت أحاديث كثيرة بروايات متعددة فى تحريم الخمر وتحريم صنعها ، والاتصال بها على أى نحو من الأنحاء، حتى قال العلماء : ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم تحريم الخمر بأخبار تبلغ بمجموعها رتبة التواتر ، وأجمعت الأمة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا على تحريمها، وبذلك استقرت الحرمة حكما للخمر فى الإسلام ، وصارت حُرمتها من المعلوم من الدين بالضرورة [1] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة ٩٠ .

أكد الله سبحانه وتعالى تحريم الخمر بأساليب متعددة نظرا لأن مُدمن الخمر يصعب عليه التخلص منها لما تتركه من آثار كيميائية، ولها تأثير على الأعصاب والمخ والدم ، كما أنها سبب فى كثير من الأمراض، والمدمن إما أن يفقد منزلته أو يفقد اتزانه، قال الزمخشرى فى تفسير الكشاف : أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد ، منها تصدير الجملة بإنما ، ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : (شارب الخمر كعابد الوثن) ومنها أنه جعلهما رجسا ، كما قال : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان ، والشيطان لا يأتى منه إلا الشر البحت ، ومنها انه أمر بالاجتناب ، ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح ، وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومعصية ، ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال ، وهو وقوع التعادى والتباغض

---

(١) الفتاوى للإمام الأكبر محمود شلتوت – ص دار القلم.

بين أصحاب الخمر والقمار ، وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة .... انتهى .

وهذه الآية الكريمة بينت مضار الخمر ، (والميسر) وهو القمار (والأنصاب) وهى الاصنام المنصوبة للعبادة (والأزلام) وهى الأقداح التى كانت عند سدنة البيت وخدام الأصنام .

قال ابن عباس ومجاهد : الأنصاب حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها ، والأزلام : قداح كانوا يستقسمون بها .

ذكر سبحانه أن هذه الأربعة - الخمر والميسر والأنصاب والأزلام - (رجس من عمل الشيطان) أى قذر ونجس تعافه العقول وخبث مستقذر من تزيين الشيطان.

(فاجتنبوه لعلكم تفلحون) أى ابتعدوا عنه وكونوا فى جانب آخر بعيدين عن هذه القاذورات لتفوزوا بالثواب العظيم .

(إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواة والبغضاء فى الخمر والميسر) أى ما يريد الشيطان بهذه الرذائل إلا إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين فى شربهم الخمر ولعبهم بالقمار (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) أى ويمنعكم بالخمر والميسر عن ذكر الله الذى به صلاح دنياكم وآخرتكم ، وعن الصلاة التى هى عماد دينكم .

قال أبو حيان: ذكر الله تعالى فى الخمر والميسر مفسدتين إحداهما دنيوية والأخرى دينية ، فأما الدنيوية فإن الخمر تثير الشرور والأحقاد وتئول بشاربها إلى التقاطع، وأما الميسر فإن الرجل لا يزال يقامر حتى يبقى سلبيا لا شىء له ،وينتهى إلى أن يقامر على أهله وولده، وأما الدينية فالخمر لغلبة السرور والطرب بها تلهى عن ذكر الله وعن الصلاة ، والميسر - سواء كان غالبا أو مغلوبا - يلهى عن ذكر الله [1] .

(فهل أنتم منتهون) وهذا الاستفهام من أشد أساليب النهى عن الخمر والمنيسر ، ولذلك قال عمر عندما سمعها : انتهينا ربنا، انتهينا .

(١) البحر المحيط ١٥/٤

قال ابو حيان فى البحر المحيط : وهذا الاستفهام من أبلغ ما يُنّهى به كأنه قيل : قد تُلى عليكم ما فيهما من المفاسد التى توجب الانتهاء فهل انتم منتهون أم باقون على حالكم ؟

فى أعقاب الآية :

وردت الأحاديث الصحيحة فى تحريم الخمر، ومن ذلك ما يأتى :

١ - روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال : (يا أيها الناس إن الله يبغض الخمر ، ولعل الله سينزل فيها أمراً ، فمن كان عنده شئ منها فليبعه ، ولينتفع) وما لبثوا إلا يسيرا حتى قال صلى الله عليه وسلم : إن الله حرم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية : يريد (إنما الخمر والميسر) وعنده منها شئ فلا يشرب ولا يبع ، فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكوها .

٢ - روى أحمد ومسلم والنسائى ما يأتى :

(لقى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يوم الفتح براوية من خمر فقال له : أما علمت أن الله حرمها ؟ فأقبل الرجل على غلامه وقال له: اذهب فبعها ؛ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: إن الذى حرم شربها حرم بيعها ؛ فأمر بها فأفرغت فى البطحاء .

ومن هذه الأحاديث وغيرها تقررت حرمة الانتفاع بالخمر على أى نحو من الأنحاء ، فيحرم أن تدخل فى الطعام بأىّ قدر كان ، ويحرم أن يصفف بها الشعر ، كما تفعله بعض السيدات ، ويحرم تقديمها على موائد المسلمين مجاملة لغير المسلم .

المخدرات :

إن الخمر هى كل ما أسكر كما ورد (كل مسكر خمر وكل خمر حرام) .

إن بعض المخدرات أشد فتكا بصحة الإنسان من الخمر؛ ولذلك أجمع فقهاء الإسلام على حرمة المخدرات وقرروا أن استحلالها كاستحلال الخمر، وجاء فى كتبهم (ويحرم أكل البنج والحشيش والأفيون لأنها مفسدة للعقل ، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ويجب تعزير آكلها بما يردعه) وقال ابن تيمية (إن فيها من

المفاسد ما ليس فى الخمر، فهى أولى بالتحريم ، ومن استحلها ، وزعم أنها حلال فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتدا ولا يصلى عليه ، ولا يدفن فى مقابر المسلمين) .

وقال ابن القيم (يدخل فى الخمر كل مسكر ، مائعا كان أو جامدا ، عصيرا أو مطبوخا ، واللقمة الملعونة ، لقمة الفسق والفجور التى تحرك القلب الساكن إلى أخبث الأماكن) ويعنى باللقمة الملعونه (الحشيشة) هذه اللقمة وغيرها من المخدرات تذهب بنخوة الرجال وبالمعانى الفاضلة فى الإنسان، وتجعله غير وَفىٍّ إذا عاهد ، وغير أمين إذا اؤتمن ، وغير صادق إذا حدَّث ، تُمِيتُ فيه الشعور بالمسئولية والشعور بالكرامة .

وثبت طبيا أن للمخدرات الحديثة كالكوكايين ، والهروين والأقراص المصنعة آثاراً قوية على المخ وسائر ملكات الإنسان ، بل فيها قتل معنوى ، وسحق للقيم ، وهى تُشّمت بنا الأعداء ، وتُحْزِن الأصدقاء ، ويمكن التغلب عليها بالإيمان واليقين الصادق بالله وباليوم الآخر ، وبقوة العزيمة ، ومعونة الأطباء والعلماء .

يجب أن يقوم البيت بواجبه فى رعاية الأبناء والفتيات ، ويجب أن تقوم وسائل الاعلام بالتوعية الحقيقية ، وأن ينهض المسجد والمدرسة والأجهزة المعنية برعاية المدمنين وتوجيههم والأخذ بيدهم إلى الشفاء ، كما يجب تحذير الجميع من هذه المخدرات ومن تناولها مطلقا ، فإن المرة الأولى يمكن أن تجر صاحبها إلى الإدمان، وإلى العجز التام عن العودة إلى الجادة والاستقامة ، ولقد سبق القرآن إلى تحريم الخمر ، وهى كل ما خامر العقل وستره سواء أكان خمرا أم أى صنف من المخدرات ، ووجب علينا جميعا أن نستجيب لأمر الله ففيه الحياة الحقيقية ، قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ وقال سبحانه ﴿ يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس) .

ولم تظهر هذه المخدرات فى حياة الرسول صلى الله علية وسلم . وإنما ظهرت مع سقوط بغداد فى يد التتار سنة ٦٥٦ هـ ، وأفتى العلماء بتحريمها لأنها تفسد العقل وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، بل هى أشد فتكا بالجسم والعقل من الخمر . وقد جاء الإسلام ليحافظ على العقول ، وجعل العقل واللب والفؤاد والقلب

أسمى أدوات الخطاب ، وأوجب علينا التفكير والتدبر ، وحرم الغفلة والضياع . قال تعالى ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ وروى ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله الخمر وشاربها ، وساقيها وبائعها ، ومبتاعها وعاصرها ، وآكل ثمنها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه) .

المخدرات وباء فتّاك :

إن مما يدعو للحزن والأسف أن يتهافت الشباب على هذه المخدرات ، ويدعى أن تحريمها لم يذكر فى القرآن الكريم ؛ وهذه المخدرات قتل معنوى للإنسان ، وخصوصا الهروين والكوكايين ففى الشمة الأولى يفقد ٣٣ ٪ من مقوماته، وفى الشمة الثانية يفقد المخ ٦٦ ٪ من مقوماته ، وفى الشمة الثالثة يفقد المخ ٩٩ ٪ من مقوماته ، ويصبح المدمن آلة فى يد الإدمان ، وهذا قتل وتدمير لكرامة الإنسان قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ الإسراء ٧٠ ، وفى القرآن الكريم ﴿ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ البقرة ١٩٥ .

إن هذه المخدرات هلاك لجيل من الشباب والفتيان والفتيات ، وعدوان على مستقبل الأمة ، وامتهان لكرامة المواطن ، لأن المدمن لا يستطيع أن يضبط عمله ولا أن يصون نفسه ، ولا أن يدافع عن وطنه ، وفى الحديث الشريف (البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس) .

وإذا ثبت أن المخدرات ضارة بالصحة وبالعقل والتفكير وجب الابتعاد عنها تماما كما أمر الله بالابتعاد عن الخمر ، فالخمر تستر العقل ، والمخدرات تستر العقل وتفسد المخ ، فهى أشد ضررا من الخمر ، وكل ما ثبت ضرره وجب تركه، فمن أصول الدين (لا ضرر ولا ضرار) فترك الضرر واجب شرعا ، والإقلاع عن المخدرات واجتنابها نهائيا واجب شرعا ، ومقصد من مقاصد الشريعة حفاظا على أنفسنا وعلى أمتنا قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ النساء ٢٩ .

من وسائل العلاج :

إن الابتعاد عن المخدرات لا يكفى معه الكلام أو النصح ، بل يحتاج إلى خطة متكاملة حتى يصبح البعد عن الإدمان سلوكا عاما .

وهذا السلوك يحتاج إلى تكاتف المختصين بالأمر ، من أطباء الصحه وعلماء النفس والتربية والاجتماع والإعلام والصحافة وخبراء التربية الإسلامية ، والدينية .

إن قيام المسجد والكنيسة وسائر دور العبادة بالدور المطلوب منها . وبالواجب المنوط بها ، سيؤدى إلى استقرار حكم التحريم لهذه المخدرات ، ومن الواجب أن تتسع صدورنا لمناقشة المدمن وتشجيعه على الاعتراف والحديث ، فهو مريض يحتاج إلى العلاج ، قبل أن يحتاج إلى الفتوى ، ومن العلاج أن نحترم إنسانيته ، وأن نفتح أمامه باب التوبة والأمل ، حتى يتغلب على اليأس والإحباط .

كما ينبغى للأسرة أن تتقبل المدمن ، وأن تتكاتف فى رعايته حتى يقلع عن الإدمان ، ويجب العناية بدور الاستشفاء والعلاج من الإدمان ، وتزويد هذه الدور بالمتخصصين ، لأنها استثمار حقيقى للإنسان ، وقد خلق الله الكون كله من أجل الإنسان ، وسخر له الشمس والقمر والليل والنهار ، والسماء والأرض ، واستخلف الله الإنسان فى عمارة الكون ، وإصلاح الحياة ، والمؤمن الصالح أهل للخلافة فى هذه الأرض ، ولا صلاح إلا بالاستقامة والجد والعمل والأمل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ الكهف ٣٠.

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء ١٠٥ .



١٢ - النظام العسكرى فى الإسلام (١)

الإسلام دعوة عالمية تقوم على الإقناع والاعتقاد . قال تعالى ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ الحجرات ١٤ .

والإيمان يقين جازم وتصديق كامل بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، ولا يكتفى المؤمن بالتقليد بل يحتاج إلى إنشاء الإيمان واستشعاره عن ثقة واعتقاد ، وفى منظومة فنية يقال :

إذ كل من قلدفى التوحيد   إيمانه لم يخل من ترديد

وقد مكث المسلمون فى مكة ثلاثة عشر عاما لم يرفعوا سيفا ، ولم يقاتلوا أحداً ، مع تعرضهم لصنوف الأذى والاضطهاد ، ولما هاجر المسلمون إلى المدينة سارعوا إلى بناء مسجد قباء ثم بناء المسجد النبوى ، وكان المسجد دارا للعبادة ، وبرلمانا للشورى ، وميدانا للرماية ، وفيه مكان لإقامة الفقراء ، وفيه مجالس لتلقى العلم ، وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى . وقد بذل الرسول صلى الله عليه وسلم جهدا كبيرا فى المؤاخاة بين الأنصار والأنصار ثم بين الأنصار والمهاجرين ، واستطاع أن يضع أسس التربية الإسلامية فى تعميق الإيمان بالله تعالى واليقين بأنه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ، وأنه تعالى بيده الخلق والأمر وهو على كل شىء قدير ، كما ربى المسلمين على الشجاعة والكرم والإيثار والتواضع وسائر الصفات الحميدة التى وصف الله بها المؤمنين فقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ الفتح ٢٩ .

وقد خطط الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة وجعل فيها شارعا رئيسيا يمتد من سلع إلى المسجد النبوى ، وبنى الدور على جانبى هذا الشارع ، وشجع المسلمين على البناء والتحضر والتعلم والأخذ بأسباب القوة .

مشروعية القتال فى الإسلام :

قاتل المسلمون دفاعا عن النفس ، وحماية للدين ، ورداً لعدوان المشركين ، وانتصافا لأنفسهم ممن اعتدى عليهم ، وقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم عددا من السرايا وقاد عددا من الغزوات فى بدر وأحد والخندق والحديبية وفتح مكة وغزوة تبوك ، وغزوة الطائف ، كما سار الخلفاء الراشدون على نهجه حتى فتحت بلاد الفرس وبلاد الروم ، وسميت بالعراق والشام ، وفتحت مصر وشمال أفريقيا وامتدت الفتوحات إلى الهند وامتد نور الإسلام وعم المشارق والمغارب .

نظام القتال فى الإسلام :

لم يكن المسلمون أكثر عددا أو عدة من أعدائهم ، بل كانوا أقل عددا وعدة ولكنهم انتصروا فى معظم معاركهم ، وكانوا أحرص الناس على الموت فى بسيل الله، رغبة فى الشهادة ، وحرصا على الثواب وإيثارا لما عند الله ، وقد زكى فيهم القرآن هذا المعنى ، وكان القرآن ينزل فيطهر النفوس ويربى الأجيال ، والنبى عليه الصلاة والسلام القدوة الحية أمامهم ومرضاة الله غايتهم .

ويعتمد النظام العسكرى فى الإسلام على الأسس الآتية :

١ - إعداد العدة والتمرين والتدريب ، وإتقان الكر والفرّ ، والتمرين على الرماية وعلى اساليب الحرب قال تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ الأنفال ٦٠ .

وقد ذكر المفسرون إن القوة تفسر فى كل زمان بما يناسبها ، كانت القوة فيما سبق الرمى بالنبل وهو عمل أشبه بعمل القناصة التى تصطاد الرتب الكبيرة فى جيش الأعداء ثم تطورت القوة إلى المدفعية والطيران والغواصات والدبابات وسائر الاسلحة الحديثة ، لأن إحراز النصر لا يتم إلا بالتمرين على أحدث الأسلحة وإعداد ما يمكن من القوة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، أى أن المسلمين يجب أن يكون فيهم الخبراء فى الاسلحة المختلفة ، وفى فنون الحرب لأن الحرب أصبحت فناً دقيقاً يحتاج إلى عمر كامل ، وتفرغ تام لإتقان فرع من فروع الحرب ،

وهذا أمر يوجب علينا أن يكون فينا المتخصصون فى سائر فنون الحرب وفى التحضير للحرب والإمداد والتموين والعلاج والتمريض والتوجيه والقيادة تحقيقاً لقوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ أى كل ما تستطيعون إعداده من أسباب القوة المادية والمعنوية .

٢ – تقوية الروح المعنوية للأمة ، وتربية الأمة على إرادة القتال والرغبة فيه إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل ورغبة فى الثواب ، وتحقيقا لرضوان الله تعالى فى الدنيا والآخرة . ويساعد على تقوية الروح المعنوية تدارس آيات القرآن وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم التى تحث على الجهاد وتبين فضل الشهادة ومنازل الشهداء ، وتحذر من الفرار والتخلف عن الجهاد . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

(أ) ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء ٧٤.

(ب) ﴿ ما كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ سورة التوبة ١٢٠ ، ١٢١.

(جـ) ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ محمد ٤ ,٥ ,٦.

(د) ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ التوبة ٤١.

(هـ) ﴿ ايَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ، الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ

عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ الأنفال ٦٥، ٦٦.

الأحاديث النبوية :

وردت أحاديث نبوية صحيحة فى فضل الجهاد وثواب المجاهدين، من ذلك ما ورد فى صحيح البخارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :-

(تكفل الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسولى أن ارجعه بما نال من أجر وغنيمة أو أجر إن لم يغنم).

ثم قال صلى الله عليه وسلم : (ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ولوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل).

ولما سار عليه الصلاة والسلام إلى الجهاد فى إحدى غزواته مر أحد أصحابه بشعب فيه عيينة من ماء وبقل ، فقال: لو اعتزلت الناس فأكلت من البقل وشربت من الماء وتفرغت لعبادة الله، ولن أفعل حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب وقال (لا يقل أحدكم لو اعتزلت الناس فتفرَّغت لعبادة الله ، لمقام أحدكم فى الصف ساعة خير من الدنيا وما فيها ، ولغدوة فى سبيل الله أو روحة خير لأحدكم من الدنيا وما فيها).

٣ - المحافظة على الهدف :

كان الصحابة يكلفون بمهام قتالية فى قيادة السرايا أو التجسس على الأعداء ومعرفة أخبارهم ، وكان يتحتم عليهم أن يحافظوا على هدفهم ،فإذا ظهرت لهم أهداف ثانوية فى الطريق أعرضوا عنها وتركوها حتى يحققوا المهام القتالية التى كلفوا بها .

فى غزوة الأحزاب اشتد الضيق بالمسلمين وزلزلوا زلزالاً شديدا، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ثبَّتهم ووعدهم بالنصر ، وبشرهم بفتح الفرس والروم، وا ختار أحد المسلمين ليعرف له أخبار المشركين، فذهب الصحابى إلى معسكر الأعداء ، فسمع أبا سفيان يقول للناس : لسنا بدار مقام وإنى راحل، ويجب أن

ترحلوا ، وكان المسلم يستطيع أن يصوب سهماً فيقتل أبا سفيان ، لكنه امتثل لما كلف به ، ونقل أخبار القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا لون من إتقان العمل ، وتنفيذ المهام بكل دقة، لأن كل فرد من أفراد المسلمين على ثغرة من ثغور الإسلام فإذا قام كل فرد بالمهام التى كلف بها بالذات أدى هذا إلى تكامل العمل وجودته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه. قيل: وما إتقانه يا رسول الله ؟ قال: إخلاصه من الرياء والبدعة). وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ الكهف٣٠.

٤ - السرِّية والكتمان :

كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة أو سريَّة ورَّى بها ، ومعروف أن الإسلام دين دعوة، ورسالة تبليغ ، وما كان صلى الله عليه وسلم يقاتل قوماً إلا بعد تبليغهم دعوته ، لكن بعد تبليغ الدعوة ، وعناد المشركين بعد ذلك فكان يحيط أمره بالكتمان، ويستعين بذلك على النجاح والنصر ، فى فتح مكة ، بدأت قريش فنقضت عهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وساعدت قبيلة بكر حليفتها على قبيلة خزاعة حليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عمر بن سالم الخزاعى يستعين برسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد بين يديه ويقول : -

يا رب إنى ناشد محمدا	جلف أبينا وأبيك الا تلدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتَّلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا أيدا	وادع عباد الله يأتوا مددا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: نصرت يا عمر بن سالم ، ودعا الله قائلا : (اللهم خذ العيون والأبصار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها) . وأخذ يستعد خفية لفتح مكة، ثم إن حاطب بن أبى بلتعة أرسل كتابا إلى أهل مكة مع امرأة من مزينة تسمى سارة وفى الخطاب : اعلموا أن محمداً يريدكم فخذوا حذركم، واعلم الله رسوله بأمر الخطاب ، فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والزبير

ابن العوام ، وقال انطلقا حتى تأتيا روضة خَاخٍ، تجدون امرأة من مزينة معها كتاب فأحضراه.

فكتمت المرأة أمر الخطاب حتى يئسا منها ، ثم جرَّد عليٌّ سيفة وقال للمرأة: والله ما كذب رسول الله وما كذبنا، لتعطينا الخطاب أو لننزعن الثياب، فلما رأت المرأة الجد فى أعينهما فكت عقاصة شعرها فأخرجت الخطاب ، وعاد به على إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحضر النبى حاطبًا وأعطاه الخطاب ، وقال له : ما حملك على ذلك ؟ قال: يا رسول الله ، والله ما كفرت منذ أن آمنت ولا شككت منذ أن اسلمت ، لكنى أردت أن أتخذ عند قريش يداً لتحافظ على أهلى وأسرتى ، وعلمت أن الله ناصرك .

فقال عمر للرجل : يا عدو الله ، رسول الله يخفى الأمر وانت تفشى سره ، دعنى يا رسول الله أضرب عنقه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. وكان الرجل قد شهد بدرًا والمشاهد كلها ، لكن النفس البشرية أحيانا يصيبها بعض الضعف، وقد غفر النبيُّ للرجل زلته ، ونزل وحى السماء يندد بهذاالعمل ويلزم المسلمين بكتم أسرارهم والمحافظة عليها فمن كتم سره كان الخيار فى يده، وإفشاء سر الحرب جريمة كبرى لأنه يتسبب فى تحويل النصر إلى هزيمة ويضر بالجيش ضررا كبيرا، وقد نزلت سورة الممتحنة بهذا المعنى وتبدأ بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ الممتحنة ١.



١٣ - النظام العسكرى فى الإسلام (٢)

من الأسس التى يعتمد عليها النظام العسكرى فى الإسلام ما يأتى :

(٥) النظام والتنظيم :

النظام له أثره فى النجاح والنصر قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ الصفّ ٤ .

وقد رتب النبى جيشه يوم بدر، ولأول مرة فى تاريخ البشرية رأى الناس المشاة تقف أمام الفرسان ، وترمى الفرسان بالنبل ، فرجعت الفرسان للخلف، وقتلت من المشريكن أكثر مما قتلت من المسلمين.

وكان صلى الله عليه وسلم قائدا عسكريا محنَّكا، يُعدُّ للمعركة ، ويدير المعركة ويصرف أمورها ، ويرعى أسر القتلى وينظم شئون الأسرى ، ويرتب الصفوف ، ويضرب من يخرج على الصف ، وفى غزوة بدر وجد سواد بن غزية قد خرج على الصف فضربه على بطنه ليدخل الصف ، فقال سواد أوجعتنى يا رسول الله، ولابد أن أقتص منك ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: أقتص يا سواد ، قال بل من بطنك عاريا فكشف النبى عن بطنه فأهوى سواد على بطن النبى يقبلها، فقال له النبى: ما حملك على ذلك يا سواد ، قال: يا رسول الله حضر من الأمر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر عهدى بالدنيا أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم بخير .

٦ - الثبات والاحتمال :

يقولون الشجاعة صبر ساعة ، والثبات هو العزيمة واليقين والرغبة فى النصر ، والابتعاد عن الهزيمة ، ومن أسباب الثبات ذكر الله ، وتذكر ما أعد الله للمجاهدين والصابرين ، من حسن الجزاء ، والبعد عن الخلاف والتنازع ، قال تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

الانفال ٤٥ ، ٤٦ .

ويذكرون أن معاوية عزم على الفرار فى إحدى معاركه مع الإمام على فتذكر أبياتا من الشعر فامتنع من الفرار ، وهذه الأبيات هى :

أقول لها وقد طارت شعاعا	من الأبطال ويحك لن تراع
فإنك لو سألت بقاء يوم	على الأجل الذى لك لم تطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز	فيطوى عن أخى الخنع اليراع
سبيل الموت راحة كل حى	فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لم يعتبط يسأم ويهرم	وتسلمه المنون إلى انقطاع

وثبات الإنسان ربما حول المعركة من هزيمة إلى نصر ، ويشجع الإنسان على الثبات رغبته فى التضحية والفداء ، ومراقبة الله وتقواه ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران ٢٠٠ .

٧ - الصبر على البأساء والشكر على النعماء :

الجهاد والقتال فيه مشقة وتضحية بالنفس، وهذا يحتاج إلى صبر واحتمال فى البأساء ، وشكر لله على النعماء ، قال تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ٢١٦ .

فإذا جاء النصر فإن المؤمن لا يأخذه بطر ولا أشر ولا كبرياء ، بل يرى أن النصر من الله ، قال تعالى ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ الانفال ١٠ .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى فى الصبر على البأساء والشكر على النعماء، أصيب النبى والمسلمون فى أحد فنزل القرآن يأسو جراحهم

ويبين أن الأيام دول يوم لك ويوم عليك قال تعالى : ﴿ إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران ١٤٠ ، ١٤١ .

وفى فتح مكة ، خضعت مكة كلها تحت أقدام النبى العظيم ، فانحنى على راحلته شكرا لله حتى أوشك أن يسجد عليها وهو يقول (تائبون آيبون حامدون لربنا شاكرون) ثم أمره الله أن يستعد للرحيل عن الدنيا فقد أدى رسالته فيها وتم له النصر والفتح ، قال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

٨ - إخلاص النية لله تعالى :

القتال تضحية وفداء والله مطلع على نية الإنسان ، فيجب أن يخلص المؤمن الهدف ، وأن يجرد النية مرضاة لله وطاعة لأمره .

قال تعالى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ، وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ الفتح ١٨ ، ١٩ .

وفى صحيح البخارى أن رجلا قال : يا رسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه، أى ذلك فى سبيل الله ؟

فقال صلى الله عليه وسلم (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) .

إن القتال فى الإسلام ليس فى سبيل أمجاد شخصية ، وليس فى سبيل أن يتحدث الناس عنك، بل القتال فى سبيل الله ، أى فى طريق مرضاته وحده ، قال تعالى : ﴿ و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ العنكبوت ٦٩ .

٩ - أخذ الحيطة والحذر والابتعاد عن الاسترخاء والدعة :

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ النساء ٧١ .

إن المؤمن ينبغى ألا يُخدع بل عليه أن يكون حذرا واعيا، روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) .

١٠- تذكر فضل الشهداء ونعيم المجاهدين :

إن الشهداء أحياء عند الله ، وهم فى منازل عالية، فقد جاهدوا بأرواحهم مرضاة لله ورغبة فيما عنده .

قال تعالى ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

آل عمران ١٦٩ - ١٧١ .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم (أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسبح حول الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من رحيقها المختوم) .

ولما لقى الشهداء ربهم قالوا: يا ربنا من يبلغ من خلفنا من المسلمين ما نحن فيه من الفضل، حتى لا يزهدوا فى الجهاد؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم،فأنزل الله تعالى قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾ البقرة ١٥٣ ، ١٥٤ .

١١- تحريم الفرار :

الفرار عار فى الدنيا ، وسبب فى العذاب يوم القيامة، وقديما قالت العرب الضرب فى اللبات والصدور أكرم من الضرب فى الإعجاز والظهور . .

وفى غزوة بدر قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل مقبل غير مدبر إلا وجبت له الجنة) . إن الإقبال تقدم وطاعة لله ، وبذل للروح والجسد فى سبيل الله ، أما الإدبار والفرار فهو جبن وضعف ومذلة ، الفرار لا يبقى عمرا ولا يطيل أجلا قال تعالى ﴿ قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ .

وقال سبحانه ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾

النساء ٧٨ .

وعند قتال المسلمين الأولين ، كان أحدهم يقرأ سورة الأنفال ليبعث الشجاعة والحماس ، ويثير التقوى والإيمان ، ولينفى الوهن والضعف ، أو التفكير فى الفرار ، ومن آيات سورة الأنفال نجد هذه الآيات .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ الأنفال ١٥ ، ١٦ .

ومما يساعد على الثبات وينفر من الفرار ، ثقة المؤمن بأن الأجل محدد وبأن الرزق محدود، وفى الحديث الشريف (إن روح القدس نفث فى روعي أن نفسا لن تموت حتى تستوفى أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب) وفى الأثر (اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الامور تجرى بالمقادير) .

١٢- الابتعاد عن الفتن والدسائس :

يجب أن يتثبت المؤمن عندسماع الأخبار خشية الوقوع فى أسباب الفرقة والفتنة ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ الحجرات ٦ .

١٣- مصاولة اليأس ومقاومة الأراجيف :

اليأس من روح الله كفر ، والأمل فى النصر طريق إلى النصر ، ومحاربة الإشاعات المغرضة ، والأراجيف المثبطة من واجبات المقاتل ، قال تعالى ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً ﴾ الاحزاب ٦٠ .

١٤- التنبه إلى حيل الأعداء :

حذر القرآن من الأنخداع بحيل الأعداء ، وأمر باتقاء مكرهم وخداعهم ، لأنهم راغبون فى تقطيع اوامر المودة بين المؤمنين، وبهذا تضعف الوحدة ويعم الوهن والحزن .

وقد حاول شاس اليهودى بث صنوف الفرقة بين الأوس والخزرج من الأنصار، فقال لغلام له ذكرهم بيوم بعاث ، فقالت الأوس انتصرنا عليكم أول النهار ، وقالت الخزرج بل انتصرنا عليكم آخر النهار ودخلنا بيوتكم واستبحنا حماكم ، وقالت الأوس: لو تأخر الاسلام قليلا لانتصرنا عليكم، فقالت الخزرج: قد كان الإسلام متأخرا زمانا طويلا فلماذا لم تفعلوا هذا .

فقالت الأوس : أما والله إن شئتم لنعيدن الحرب جذعة. وتنادوا : السلاح السلاح ، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج جزعا يجر رداءه ويقول: أدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم ذروها ، فإنها منتنة ، ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من مات على عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية .

ثم أنزل فى ذلك آيات تحث على الوحدة وتحذر من الفرقة قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ، وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران ١٠٠ ، ١٠٥ .



١٤ - شهر رمضان ونظرة موضوعية

يأتى شهر رمضان فيذكر المسلمون أمجادهم وتاريخهم وحاضرهم ومستقبلهم من خلال مجالسهم وأحاديثهم فى دور العبادة والمحافل والأندية .

فهو شهر الجهاد : جهاد النفس بالصوم والصبر والجوع والعطش وهذا هو الجهاد الأكبر.

وفيه جهاد بالسيف ووسائل الحرب؛ فقد تم فيه انتصار المسلمين فى غزوات متعددة ، منها النصر فى غزوة بدر الكبرى فى العام الثانى من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم، ومنها فتح مكة المكرمة سنة ٨ من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وهو شهر الصدقة وصلة الأرحام ، والتعاون بين المسلمين .

وهو شهر الصفاء والنقاء والتقوى وطاعة الله ، وهو شهر تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران ، وهو شهر للصبر والاحتمال وكل أمور الخير ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة ١٨٣ .

المسلمون والصيام :

جعل الله رمضان موسما للروح والصفاء فجعلوه موسما للموائد والطعام والبطنة .

جعل الله رمضان موسما للجهاد والقتال فجعلوه موسما للترف واللهو والسهرات غير المشروعة ، جعل الله فيه ليلة القدر وجعل فيه أمجادا وأعيادا، فجعلوا منه موسما للكسل والإخلاد إلى النوم والراحة .

فهم جديد لرمضان :

أن يكون رمضان موسم التماسك والترابط بين العالم الإسلامى ، أن يتدارس المسلمون الأقليات الإسلامية ، وأن يحاولوا مد جسور الصلة معها تحقيقاً للوحدة بين المسلمين ، أن ينشروا توعية بين المسلمين بإخوانهم المجاهدين فى فلسطين وسائر بلاد العالم ، وهذه التوعية يتبعها تعاون وتساند وبذل الجهد من أجل دعم الأخوة الإسلامية .

أن يكون رمضان موسم العمل وبذل الجهد المستمر ، ويعرف المؤمن أن ثواب الصوم يرتبط بالعمل والنفع لا بالكسل والاسترخاء قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ الكهف ٣٠ ، وقال صلى الله عليه وسلم : (أخشى ما أخاف على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل) .

أن يكون رمضان موسم التكامل الإنسانى فهو يجمع بين نصيب الروح فى الصيام والقيام والعبادة والاستغفار والصلاة . ونصيب الجسم فى العمل والإبداع والإنتاج والجهاد ، وقد تنوعت فنون الجهاد وتعددت مسالكه وصار واجبا على المسلمين أن يستوعبوا ظروف الحياة ومتطلبات العصر ، وأن يجمعوا بين روح التراث ومقتضيات المعاصرة .

رمضان والشباب :

الشباب فى كل أمة عماد نهضتها ، وفى كل نهضة سر قوتها وحامل رايتها ، قال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ الكهف ١٣ .

رمضان مع الشباب باب للتوبة النصوح وهجر الخمر والميسر والحشيش والأقراص المصنعة وكل ما يفسد العقل ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

رمضان مع الشباب باب لهجر الفجور والمتعة الحرام وطريق إلى العفة والاستقامة وغض البصر وحفظ الفرج. قال صلى الله عليه وسلم (**يا معشر الناس اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا عاهدتم وأدوا الأمانة إذا اؤتمنتم وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفو أيديكم**) .

رمضان مع الشباب موسم تضاعف العمل والإنتاج وطريق إلى المسجد وصلاة الجماعة والتراويح وتلاوة القرآن والتهجد وصلاة الليل ، والسحور ثم الوضوء لصلاة الفجر وتلاوة القرآن . قال تعالى ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ الاسراء ٧٨ .

المرأة المسلمة فى رمضان :

المرأة بطبيعتها فيها فطرة الإيمان والإحسان أكثر من الرجل كما يقول مصطفى صادق الرافعى .

والمرأة المسلمة فى رمضان تجد فرصة طبيعية لأن تلتزم وتحتشم فى ملبسها وزينتها ومظهرها فقد أمر الله المرأة المسلمة بستر العورة والتزام الوقار فلا يظهر منها إلا وجهها وكفاها .

المرأة المسلمة لا تضع العطر والزينة والأصباغ إلا لزوجها فإذا خرجت إلى الشارع فعليها الوقار والاحتشام مع النظافة وحسن المظهر، وعليها البعد عن أعين الرجال ، والقصد والاعتدال وعدم التبرج .

ويباح لها البيع والشراء والتعلم والتعليم وسائر الأعمال المباحة شرعا ما دام ذلك بعيدا عن الفتنة وعن مخالفة ما شرع الله .

المرأة المسلمة فى رمضان تقرأ القرآن وتحافظ على الصلاة وترعى زوجها وأولادها وتهتم بطعامهم وخصوصا الأطفال الصغار والشيوخ الكبار، فهى أمينة على ذريتها وبيتها ، وفى الحديث الشريف (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها) .

رمضان والصبيان :

الصبى دون البلوغ يباح له الصيام ليتعود عليه ، وكان الصحابة يشجعون أولادهم على الصيام ويصنعون لهم اللعب فى هيئة الحلوى والأطعمة فإذا أكلوا لم يفطروا لأنه أكل فى الشكل فقط، وطعام من الصوف لا يفطر .

ينبغى أن نشجع الصبيان الأصحاء على الصيام والفرح برمضان ومشاركة الكبار فى السحور والصلاة وتلاوة القرآن .

نشجع الصبيان على حفظ أجزاء من القرآن سبق أن حفظروها وتركوها ، ونجعل لهم مقررا من الحفظ، بل ونجعل فى بيوتنا ساعات للقراءة والمدارسة والشرح والتلاوة .

إن جيل الكبار قد حظى بفرصة أكبر للخلوة والقراءة وجيل الصبيان يحتاج إلى أن يخصص وقتا معينا يهجر فيه التليفزيون والمسرحيات والمسلسلات ويتفرغ عامدا لذكر الله وإقامة الصلاة وتلاوة القرآن وطاعة الرحمن ، هذا جيل المستقبل، يحتاج الصبى منا أن نغرس فى قلبه محبة الله وطاعته والرضا عنه ، وبذلك نضع غرس الإيمان ومحبة الرحمن ، وصدق اليقين فى قلوب المؤمنين .

قال تعالى : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم وأحبونى بحب الله) .



١٥ - حديث إلى جريدة الاتحاد
التى تصدر فى (أبو ظبى)
دولة الإمارات العربية المتحدة

وهو إجابة عن طائفة من الأسئلة وجهتها الصحيفة للدكتور عبد الله شحاتة
(الأستاذ بجامعة السلطان قابوس سلطنة عمان - مسقط)

فى ٢٧ / ٤ / ١٩٨٦

س١ : ما هى الأسباب التى دفعتكم إلى عدم قبول منصب الإفتاء .

جـ١ : كنت قد أعطيت وعداً إلى جامعة السلطان قابوس بأن أعمل بها أستاذا لعلوم القرآن .

س٢ : ما هو دور المفتى فى رأيكم فى مصر والعالم الإسلامى عامة الآن ؟

جـ٢ : المفتى رائد روحى لبلده وإمام عصرى يجمع بين التراث والمعاصرة، وقد كان منصب المفتى منصباً محدود الأثر ، فلما عين فيه الشيخ محمد عبده سما بالمنصب سمواً عظيماً ، وكان له تأثير كبير على القضاء ورجال التشريع ، حيث دعا القضاة الشرعيين إلى دراسة الفقه وأحكامه وأدلته ، ومعرفة الرأى الراجح والمرجوح ؛ وإذا كان رأى قد رجح فى زمن ما لسبب من الأسباب ثم زال هذا السبب فيجب بيان ذلك فإن من قواعد التشريع :

أن المشقة تجلب التيسير ؛ وأن الأمر إذا ضاق اتسع ؛ وأنه لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان ؛ وأنه أينما توجد المصلحة فثم شرع الله

ولا ينبغى أن يقتصر دور المفتى على الإعلام برؤية هلال رمضان أو شوال ؛ بل ينبغى أن يكون ذلك بعض مهامه .

المفتى هو الأب الروحى للمسلمين ، المفتى هو قائد المسيرة ؛ ومعلم الأجيال ؛ وباعث الحضاره الإسلامية ؛ ومؤلف القلوب ؛ وربان سفينة الجمع بين التراث والمعاصرة؛ بين الماضى وأمجاده والحاجز وآلامه ، وآماله ، المفتى لا ينتظر من يقدم إليه سؤالا أو موضوعا يطلب فيه الفتوى ؛ بل بحسه الدينى ، وضميره المتيقظ ؛ يشرع للمسلمين ما ينبغى عمله ، ويحذرهم مما يضعف رابطتهم ، و يؤخر سيرتهم .

س٣ : هل المفتى يحظى بمكانته التى ينبغى أن تكون والتى كان عليها سلفنا الصالح - فى أيامنا هذه .

جـ٣ : المرء حيث يضع نفسه ؛ وفى بعض البلاد نجد المفتى مثالا للإيمان والتضحية والاعتزاز بالدين؛ ومثل هذا الرجل إذا وجد تصغر الدنيا فى عينه، ويعظم الإيمان والإخلاص فى نفسه ؛ كان العز بن عبد السلام شيخا لعلماء مصر ؛ وذهب إلى الملك الصالح أيوب ، وناداه : يا أيوب ؛ هناك حانة يباع فيها الخمر فى مكان كذا ، فأمر الملك . بإغلاقها ، وقال تلميذ لشيخه العز بن عبد السلام : يا شيخى ، كيف تقول للملك يا أيوب ؛ والناس تناديه بألفاظ العظمة والتكريم . فقال العز : استحضرت عظمة الله أمامى فظهر الملك أمامى مثل الهر .

فى أمثال هؤلاء العلماء ؛ قال شوقى قصيدته :

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واخشع مليا واقض حق أئمة طلعوا به شُهُبًا وماجوا أبحرا
كانوا أجل من الملوك جلالة وأعز سلطانًا وأفخم مظهراً

كان العالم عنوانا للحق والعدل ، وملاذا للشعب فى المحنة ، وقائدا له فى الشدة ، ومجاهدا ومناضلا يتقدم الصفوف ويخلص الجهاد ، فأنزلته الأمة فى سويداء قلبها ، وانحنت أمام إشارته واعتبرته وريث الأنبياء بعلمه وسلوكه وقدوته ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ .

وقد حدثت أحداث كثيرة وأمور متتابعة أدت إلى هوان العلم والعلماء ، وهى أمور متشابكة . ونقطة الإصلاح تبدأ من رغبة العالم فى أن يسترد مكانته ، وأن يأخذ دوره ، الذى حمله له القرآن ﴿ لتبيِّنُنَّه للنَّاس ، ولا تكتمونه ﴾ .

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنَّسُوا ... محيّاه بين الناس حتى تجهَّما

س٤ : إلى أى مدى يكون تأثير فتوى المفتى ورأيه ؟ وهل هى ملزمة أم غير ملزمة فى واقعنا الحالى ؟

جـ٤ : المفتى إمام مجتهد ، والاجتهاد دعا إليه القرآن والسنة ، وكان واقعاً عمليا فى تاريخ الفكر الإسلامى ولا غنى لأمة عن الاجتهاد فى دينها وتشريعها ، ومن سماحة الإسلام أنه يتسع للرأى ، وللرأى الآخر ؛ وقد حدث ذلك فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ حينما قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظه » فمن المسلمين من التزم بالنصّ ومنهم من قال المقصود بالحديث الإسراع فى الوصول إلى بنى قريظه، فصلى العصر فى الطريق ثم أسرع بالوصول إلى بنى قريظة ، وأقر النبى صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين ، ولما كان عمرو بن العاص أميراً على جيش أو سرية من السرايا فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أصبح جنبا فتيمم وصلى إماما بالناس فى صلاة الفجر ، فاشتكاه الجند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : صليت إماما بالناس وأنت جنب والماء موجود ؟ قال عمرو بن العاص : نعم يا رسول الله . قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : ما حملك على ذلك ؟ قال عمرو بن العاص : كان الجو باردا شاتيا وتأولت قوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم) فأقره صلى الله عليه وسلم .

وقد كان الصحابة فى سفر ومنهم الصائم ، ومنهم المفطر ؛ فلا المفطر يلوم الصائم ؛ ولا الصائم يلوم المفطر ؛ وقد اجتهد أبو بكر فى جمع القرآن فى صحيفة أو فى كتاب واحد ؛ وهو عمل لم يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحارب أبو بكر مانعى الزكاة ؛ واجتهد عمر فى عدة مسائل ، فأوقف

سهم المؤلفة قلوبهم وهو ثابت بالنص ، ومنع بيع أمهات الأولاد ؛ وأوقف حد السرقة عام المجاعة ، ومنع تنفيذ الحدود فى ميدان الحرب ؛ خشية فرار من عليه الحد إلى الأعداء ، ومنع تقسيم أرض السواد على الفاتحين ، وقال: أرى أن يزرعها العلوج من أبناء الأراضى المفتوحة ؛ ويضرب عليها الخراج ، وتقسم المنقولات على الفاتحين ، فإنى أخشى ألا يفتح الله على المسلمين أرضا مثلها ؛ وإذا فتح أرضا أخرى فربما كانت غرماً لا غنماً ، فأرى أن تحبس هذه الأرض لتكون عونا للمسلمين وقوة للأجيال القادمة ، وكان الفاتحون يأملون أن تقسم عليهم الأرض ليأخذوا أربعة أخماسها ؛ ويذهب خمسها للفقراء حسب قوله تعالى ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن الله خمسه ﴾ فهموا أن الأربعة أخماس لهم ، كما كان سابقا ؛ لكن عمر رجح المصلحة العامة وهى مقصد من مقاصد الشريعة ، ونظر إلى روح التشريع ، وقد أقره المسلمون على فهمه فكان ذلك إجماعاً .

واجتهد عثمان بن عفان رضى الله عنه فى جمع المسلمين على لغة واحدة ، هى لغة قريش ، وكتب بها المصحف العثمانى ؛ وأحرق ما عداه من المصاحف الفردية ؛ قال على رضى الله عنه : الله الله فى عثمان ؛ لا تقولوا حراق المصاحف ، فإنه إنما فعل ما فعله على ملإ منا ، ولو لم يفعله عثمان لفعلته .

وأمر الإمام بتغريم الصناع جزاء ما أتلفوا ؛ نظراً لحاجة الناس إليهم وعدم استغنائهم عن خدماتهم ؛ فمن أتلف من الصناع شيئاً عند صناعته ؛ غرّمه ما أتلف ؛ وكان قبل ذلك يعتبر أمانة ؛ والأمانة إذا هلكت من غير تعد لم يضمن المؤتمن عليها ؛ وكل هذا يوضح أنه وجد الاجتهاد فى تاريخ الإسلام ، وفى عصوره الذهبية ، ووجد من يقول بالنص ؛ ومن يرجح العقل وروح التشريع ؛ ووجد التفسير بالمأثور ، والتفسير بالمعقول ، ووجد أصحاب الأثر والنقول ، وأصحاب الرأى والمعقول ، وإن كان الحق أن أهل الأثر لم يهملوا جانب العقل والرأى ، وأصحاب الرأى لم يهملوا جانب الأثر والنقل ، ولكن نسبة الاعتماد على الأثر غلبت عند فريق ،ونسبة الإفساح للرأى غلبت عند فريق ؛ واتسع الفكر الإسلامى لهذا ، واتسع لعدد من المذاهب الإسلامية كان أصحابها من أهل الاجتهاد ؛ ونأمل أن يعود للأمة الإسلامية اجتهاد علمائها ؛ وأن يتسع

الصدر للرأى ، وللرأى الآخر ، ورأى المفتى اجتهاد مجتهد ، نرى أن نؤازره باعتباره رمزا للعلم وعنوانا للعلماء ؛ ومن تراثنا الإسلامى نجد الدعوة إلى تكريم العلم والعلماء ؛ قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فاطر ٢٨. وقال سبحانه ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ آل عمران ١٨ . فالمفتى رائد من أهل الذكر والاختصاص ، قال تعالى : ﴿ فأسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ وقال سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ التوبة ١٢٢ .

س٥ : هل هناك ارتباط بين السياسة والإفتاء ، وهل هذا الارتباط موجود الآن ؟

جـ٥ : المفتى جزء من الأمة ينبت فيها ويتأثر بها ؛ ويؤثر فيها ؛ ولا نستطيع عزل المفتى عن أمته .

س٦ : إلى إلى أى مدى تلعب السياسة دوراً فى صياغة شخصية المفتى وأفكاره .

جـ٦ : المفتى أحد الأفراد الذين يقع عليهم اختيار الحاكم لتولى الإفتاء ؛ وهذه فرصة ذهبية ليقدم النصح والتوجيه ؛ وليجتهد فى بيان رأى الدين فيما يطرأ من أمور ؛ والحاكم العادل يفسح صدره لأهل الحل والعقد ، ويستنير بأهل الاختصاص ؛ ويستشير أهل الخبرة والمعرفة ؛ فمن واجبات الحاكم ، العدل والشورى والاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص والأمانة لأنه لا يستطيع أن يلى كل شىء بنفسه فلابد من استعانته ببعض الأشخاص ، فينبغى أن يتوافر فى هؤلاء الأشخاص ، المقدرة والأمانة ؛ وفى القرآن الكريم ﴿ إنَّ خير من استأجرت القوى الأمين ﴾ قال العلماء : القوة هى القدرة على اتخاذ القرار ؛ والأمانة هى المحافظة على أموال المسلمين وحقوقهم ، وربما كان قويا فى الرأى ولكنه متهم فى أمانته ؛ حتى قال سيدنا عمر: إلى الله أشكو عجز الثقة وقوة الفاجر . أى أشكو إلى الله أن الشخص الأمين عاجز : والفاجر قوى ، قال علماء السياسة الشرعية ، وينبغى للحاكم أن يوازن الأمر ، فعند اختيار وزير للمالية يقدم جانب الأمانة على جانب القوة ؛ لأنه بصدد سياسة المال ،

وعند اختيار وزير للحربية يقدم جانب القوة على جانب الأمانة؛ لأن قوة وزير الحربية عون للمسلمين فى حروبهم وحياتهم ؛ وضعف أمانته على نفسه ؛ وحسابه عند ربه .

وهكذا نجد الأمور متشابكة ؛ تدخل فيها موازنات متعددة ؛ ونحن فى أمس الحاجة إلى أهل الأمانة والثقة ؛ ليكونوا أهل الشورى للحاكم المسلم ؛ ونتطلع بهذه المناسبة إلى اجتماع حكام العرب ، ونسأل الله أن يجعله اجتماعا موفقا يؤدى إلى جمع الشمل ، ووحدة الأمة وسيرها فى طريق التقدم والتوفيق ؛ فالتوفيق لم يذكر فى القرآن إلا فى آية واحدة هى قوله تعالى ﴿ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ .

س٧ : هل من الممكن التقارب بين الآراء والمذاهب الفقهية المتعددة كافة ؛ وكيف السبيل إلى ذلك ؟

جـ٧ : نعم من الممكن ذلك إذا صدقت النية ، ووضعنا أمامنا قول علمائنا (نتعاون جميعا فيما اتفقنا عليه ؛ ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه). لقد وحد الإسلام بين أتباعه ؛ وكانوا قبل ذلك شيعاً وأحزابا وأعداءً ؛ وصدق الله العظيم ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ آل عمران ١٠٣ .

إن المؤلف بين القلوب هو الله ، وهو صاحب الفضل والمنة ؛ لمن أخلص له وصدق فى طاعته قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ الانفال ٦٣ .

إن فضل الله ورحمته تتسع للجميع ، قال تعالى ﴿ ورحمتى وسعت كل شيء ﴾ نعم تتسع للسنى والشيعى ، والصوفى والسلفى ونحوهم ؛ الجميع من أهل القبلة ، قبلتهم واحدة ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ . وربهم واحد ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ونبيهم واحد . ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾ وكتابهم واحد تكفل الله بحفظه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وفى القرآن الكريم

﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء ﴾ ويقول سبحانه ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ الأنبياء ٩٢.

أما السبيل إلى ذلك فهو الصدق .

صدق العلماء مع أنفسهم ، التى أكلتها حروب الفرقة ، ودمرتها أضغان التعصب الأعمى ، فكلما زاد الجهل بالدين زاد التعصب للدين ؛ وكلما زادت الدراسة المتأنية الواعية أدركنا أننا بيننا من آفاق التقارب أكثر من غيرنا .

إن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله باب الإسلام الواسع ، ثم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ؛ والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره ؛ وبقية أركان الإسلام .. وهى الصلاة والصيام والزكاة والحج ، نحن جميعاً نؤمن بها ؛ وهى سبيل لمرضاة الله .

روى البخارى فى صحيحه أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبات ؛ وصمت رمضان ؛ وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل الجنة ؟

قال : نعم .

إن هذه الحروب الطاحنة التى أكلت زهرة شباب المسلمين وراءها أغراض صليبية ، كأغراض الحروب الصليبية السابقة ؛ الهدف منها إلهاء المسلمين بأنفسهم ، وإشغالهم بقتل بعضهم ، وإضعاف بعضهم ؛ وهى أخطر من حرب البترول؛ التى تقف وراءها قوى عالمية ، ضالعة ؛ تريد تجريد العرب والمسلمين من وسائل قوتهم ؛ ليسقطوا فى ميادين الحرب والسلم ؛ وليعيشوا على هامش الحياة ؛ وليجرد الإسلام من وسائل قوته، وليجرد المسلمون من وسائل عزتهم وتقدمهم .

فهل تفتح العيون على حقيقة الأمر ، وهل تتبصر بأصابع الصهيونية العالمية ومافيا السلاح ، وامتصاص دماء الشعوب وراء إشعال حروب لا يستفيد منها إلا المغامرون الملحدون !

إن السوق الأوربية المشتركة ، تحمى عدة دول بينهم العديد من أسباب الإختلاف ، ولكنهم استطاعوا أن يتجاوزوا وسائل الاختلاف ؛ وأن يعبروا عليها إلى وسائل الاتفاق .. إن القلب المريض الآن تجرى له صناعة كبارى بدلا من صمامات تالفه ؛ ليستمر ضخه بواسطة طبيب متخصص ؛ والعالم الإسلامى فى حاجة إلى نهضة علمائه ؛ وصدقه فى قيادة رشيدة ؛ تؤلف القلوب ؛ وتجمع الشمل ؛ وتحارب الفرقة ؛ فالله سماها كفرا وقال فى كتابه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ آل عمران ١٠٠ - ١٠٣ .

لقد ضاعت الأندلس ، وبكى أخر ملوكها عند فراقها ؛ فقالت له زوجته : ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال .

ونحن جميعا مهددون بالضياع والتشرد ؛ إذا لم نستيقظ لما يراد بنا ؛ ونفتح العيون قبل فوات الأوان ، وننسى أنانية أنفسنا ، لنصبح متعاونين على نحو ما؛ على أى سبيل وطريق ؛ ولابد من التسامح والتعاطف ، والصفح والعفو قال تعالى ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ فصلت ٣٤ ، ٣٥ .

س٨ : الزعامة الروحية للمسلمين تكمن فى شخصيتين ؛ شيخ الأزهر ؛ والمفتى .. إلى أى مدى صحة هذا الكلام ؛ وهل مكانة مفتى مصر أو أى دولة مسلمة راقية بمستوى مقامه .

جـ٨ : أصدق القول : لقد اتصلت قريبا بشيخ الأزهر ؛ والرجل على مستوى كريم من الفهم والإخلاص ؛ وأسأل الله أن يمد فى عمره ؛ وأن ينفع به وبإخوانه العلماء والمفتين ؛ ونحن فى حاجة إلى صحوة دينية تقود مسيرة صادقة، نحو لب الدين وروحه ، وتعيد الاجتهاد إلى نصابه ، إن أموراً كثيرة تشغل بال المسلمين ؛ وهى فى حاجة إلى مجمع فقهى معاصر ؛ يقدم الفقه والرأى فى شجاعة وتجرد ؛ إن دولاً تتسابق وتعمل وتخترع ؛ ومن واجب العلماء أن يعيدوا

للأمة الإسلامية وجهها الصبوح ؛ لتكون خير أمة أخرجت للناس ، لتكون فى مستوى زمانها ؛ تعيش عصرها وتسهم فى سطور الحضارة وكتاب الكون ؛ فلا مكان فى صدارة هذه الدنيا للضعفاء والمتخلفين ؛ إن الجسم المريض يأكل الطعام فيزيده مرضا، والجسم السليم يأكل الطعام فيزيده قوة؛ ولا أحب أبداً أن تكون التبعة على شخص بعينه ، لأن المسئولية علينا جميعا ، حكاماً ومحكومين ، علماء وأفرادا شعوبا وحكومات ، وزراء وأمراء وسوقة ، كل مسلم على ثغرة من ثغور الإسلام ، وإذا صح العزم وضح الطريق ؛ فلنعمل جميعاً عملاً صالحاً مفيداً ، ولنقدم فكراً ورأياً سديداً ، ولنطلب من الله تعالى جزاء العاملين فهو سبحانه يقول فى كتابه الكريم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ الكهف ٣٠ .



١٦ - حقوق الوالدين على الأبناء
وحقوق الابناء على الوالدين

عنى القرآن الكريم بحقوق الوالدين ، ووصى بالإحسان إليهما وإكرامهما خصوصا فى مرحلة الكبر والشيخوخة ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ، رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ الاسراء ٢٣ - ٢٥ .

والمتأمل فى هذه الآيات يلحظ أن الله بدأها بكلمة ﴿ قَضَىٰ ﴾ بمعنى حكم وأمر الله تعالى أن نفرده بالعبادة فهو سبحانه المتفرد بالوحدانية ، المستحق للعبادة المنزه عن الشريك والنظير ، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد ، الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ، الظاهر فى كل ما تراه العين ، الباطن فلا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، ثم قرن الله عبادته بالإحسان إلى الوالدين، أى أحسنوا إلى الوالدين إحسانا كثيرا ، وهذا يشمل كل أنواع البر والعطف والحنان والرعاية والمودة والرحمة ، خصوصا إذا كان الابن هو الذى يرعى الأب أو الأم أو هما معا ، ولذلك قال القرآن الكريم ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ ﴾ وفى قراءة ﴿ إما يبلغَانِّ عندك الكبر ﴾ وكلمة عندك أى فى حمايتك ورعايتك كأنهما صارا عندك وضمن مسئوليتك سواء كان الأب وحده أو الأم وحدها أو كلاهما معا ﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ وعن ابن عباس : لو علم الله أدنى من أف لقالها ، أى لا تسئ إليهما مطلقا بأقل اساءة وكن حسن الخطاب والمعاملة فلا ترفع صوتك عليهما وكن متواضعا سمحا كريما فى معاملتهم ، وتواضع كالطائر الذى طوى أجنحته وصار

ذليلا مستكينا واستخدم معهما لين القول وصالح الدعاء وقل رب ارحمهما جزاء رعايتهما لى وتربيتى فى الصغر ؛ وقد تبدر بادرة أو هفوة من الابن فى مرحلة غضب فإذا ندم وصالح والديه واستسمحهما فإن الله يغفر له له ويسامحه . وتكررت وصايا القرآن الكريم بالإحسان إلى الوالدين وإكرامهما والدعاء لهما وأداء حقهما ، وهذا حق للوالدين ودين على الأبناء للآباء فمن أكرم والديه أكرمه أولاده قال صلىٰ الله عليه وسلم (عفوا تعف نساؤكم ، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم) .

كما ورد هدى السنة المطهرة فى الوصية بالوالدين، واعتبرت السنة عقوق الوالدين من الكبائر ، وهى من الموبقات ومن علامات الساعة .

والمؤمن الموفق هو الذى يوفقه الله إلى البر بوالديه ، بل هما باب من أبواب الجنة ، وفى الحديث الشريف (تعس عبد أدرك أبويه فلم يدخلاه الجنة) .

أى إذا اكرمهما وأخلص لهما وأدى حقهما استحق رضاهما ودعاءهما له فيدخل الجنة بسبب ذلك . وقد وصى الإسلام بالأم خاصة لأنها حملت وأرضعت وقدمت الحنان والعطف ، وهى أكثر شفقة ورحمة قال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

سورة لقمان ١٤ .

وقال رجل : من أحق الناس بحسن صحبتى يا رسول الله ؟ قال: أمك ، قال: ثم من ؟ قال: أمك قال : ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من ؟ قال: أبوك .

وينبغى ألا تفضل زوجتك على أمك فالزوجة لها حقوق والأم لها حقوق ، وينبغى أن يأخذ كل ذى حق حقه، ومن فضل امرأته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

حقوق الأبناء على الوالدين :

من حق الوليد على أبيه أن يحسن اسمه ، وأن يحسن اختيار أمه وأن يؤذن فى أذنه اليمنى عند ولادته ، وأن يقيم الصلاة فى الأذن اليسرى ليكون أول ما يستقر فى سمعه تكبير الله تعالى ، ومن أدب الاسلام أن يذبح الأب عن ابنه عقيقة وهى شاة مكتملة والأولى أن يذبح شاتين عن الذكر وشاة عن الأنثى ويمكن أن يتصدق بثمن ذلك على الفقراء والمساكين .

ومن هدى القرآن ألا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بولادة الأنثى فليس المهم نوع المولود وإنما المهم هو كيفية تربيته ، بل حثت السنة على إكرام الأنثى وتعليمها وتأديبها لتكون لأبيها حجابا من النار ميمنة وميسرة .

تربية الأبناء والبنات :

التربية فن من فنون الحياة وواجب على الآباء نحو الأبناء ، وقد صارت التربية علما وفنا وادبا وسلوكا يجمع بين التراث والمعاصرة ، وقد عنيت آيات القرآن الكريم برعاية الأبناء وتعليمهم الصلاة والصبر والأدب والسمت والسلوك كما حفلت السنة النبوية بتوصية الآباء بحسن تربية الأبناء قال تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ .

ومن وصايا لقمان لابنه :

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ، وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾

لقمان ١٧ - ١٩ .

وقد كانت التربية فى القرون الوسطى تعتمد على الشدة والغلظة ، وكان من قواعد هذه التربية : إذا تركت العصا أفسدت التلميذ ، لكن روح القرآن والسنة وآداب التربية الإسلامية قديما وحديثا تحث على إيجاد المودة والرحمة والتسامح والتفاهم والإقناع وتقديم جانب اللين والرحمة وإلا فإذا تعذر ذلك لجأنا عند الاضطرار إلى الشدة والغلظة . ومن وصية هارون الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين قوله :

(أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجلس القواد إذا حضروا مجلسه) .

(ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه

فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملانية ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة) .

القدوة الحسنة :

الأب والأم والمعلم قدوة عملية أمام الابن فإذا كان الأب مصليا مستقيما عفيف اللسان بعيدا عن الحرام متحليا بمكارم الأخلاق تأثر به أولاده وتابعوه كما قال القائل :

وينشأ ناشىء الفتيان منا   على ما كان عوده ابوه

التربية عند المسلمين :

عرفت التربية مع وجود الإسلام وقد تربى الأبناء والبنات فى كنف الاسلام على تلاوة القرآن وآداب الإسلام والأحاديث النبوية الشريفة ، فعن عبد الله بن عباس قال : كنت آكل مع النبى صلى الله عليه وسلم فجعلت يدى تطيش فى الإناء فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : (يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك).

ومن علماء التربية المسلمين حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالى ، وقد ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفى سنة ٥٠٥ هـ (١٠٥٨ - ١١١١ م) .

وتتلخص آراء الغزالى فى تربية الأبناء فيما يلى :

١ -التربية من أهم الأمور ، فصفحة الصبى بيضاء ناصعة والصبى يكتسب من ابويه بالوراثة والمحاكاة .

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه). والطفولة من أهم أدوار الحياة ، وصناعتها صناعة المستقبل ، وبناء الشباب النافع والرجولة الفاضلة .

٢ - صيانة العقل من قرناء السوء، وشغل فراغه بعمل نافع وتشجيعه على ممارسة الرياضة والتعود على الخشونة .

٣ - تعليمه القرآن والحديث وأخبار السلف الصالح وتعوده الأخلاق الكريمة .

٤ - مدحه والثناء عليه كلما أحسن ومؤاخذته على الإساءة ، وينبغى أن يقتصد الأب

فى العتاب واللوم ، وأن يعامل ابنه بعطف وحزم ، ويجتهد فى تفهيمه الأسباب، ولا يكتفى بالأوامر والنواهى مجردة عن أسبابها .

٥ - تعويده التواضع وحب الأقران وعدم التكبر عليهم وعدم المباهاة بالمال أو العقار أو اللعب والممتلكات .

٦ - تعويده الزهد فى الدنيا ، وعدم الطمع فى أشياء الآخرين ، ويغرس فى قلبه أن السعادة منحة إلهية لا ترتبط بالغنى أو الفقر وأن الغنى الحقيقى هو التحلى بالخلق الكريم ، والفقر الحقيقى هو التجرد من الأخلاق والقيم .

٧ - تعويده الآداب العامه فى الجلوس والأكل والمذاكرة ، وقلة الكلام وعدم الحلف، واحترام الكبير وتوقير المعلم والوالدين .

٨ - الصبر إذا ضربه المعلم، فذلك دأب الشجعان والرجال ، وعلى الآباء والمعلمين أن يستخدموا الرفق والحكمة وأن يهتموا بشخصية التلميذ وتنمية مواهبه .

٩ - تعويد الصبى على أدب الإسلام فى العبادات والمعاملات ، والتزام الحلال والبعد عن الحرام ، والتخلق بالطهارة والإخلاص والفضائل ، وتجنب السرقة والخيانة والكذب والفحش وغيرها من الرذائل .

١٠- العناية بالرياضة البدنية واللعب والحركة والتربية الصحية والألعاب الحرة التى يرتاح إليها الأطفال بفطرتهم ويقدمون عليها برغبتهم ، وتشجيعهم على الالعاب الرياضية المنظمة كالسباحة والجرى والتجديف كى تنمو أعضاء الصبيان وتقوى أجسامهم .

١١- السماح للطفل باللعب الجميل الخفيف ، ليروح عن نفسه تعب الدراسة وارهاق المذاكرة فنعم لهو البال المكدود .

والغزالى فى هذا الرأى قد سبق علماء النفس وفلاسفة التربية الحديثة فى العصر الحديث . والحمد لله رب العالمين .



أحاديث قصيرة

١٧ - بَدءُ الوحى

أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ومبشراً ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً .

وأول ما بُدئ به صلى اله عليه وسلم من الوحى ؛ الرؤيا الصادقة فى النوم ؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ؛ ثم حبب إليه الخلاء ؛ فكان يخلو بغار حراء ؛ فيتعبد فيه الليالى ذوات العدد ؛ ثم يعود إلى خديجة فيتزود لمثلها ؛ وفى شهر رمضان ؛ فى ليلة القدر ، بعد أن بلغ عمره الشريف أربعين عاما ، نزل عليه جبريل ، وبلغه رسالة السماء . روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أتانى جبريل وقال: اقرأ . قلت: ما أنا بقارئ. فضمنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال :اقرأ ، قلت: ما أنا بقارئ ، وضمنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلق ١ – ٥ .

فرجع النبى صلى الله عليه وسلم إلى خديجة وأخبرها الخبر ، وقال لها : لقد خشيتُ على نفسى ، فقالت له خديجة: كلا ، والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلَّ ؛ وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الزمان، ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل ، وكان شيخا قد عمى وله اطلاع على كتب الأقدمين ، فلما سمعه ورقة ، قال: قُدُّوس ، هذا هو الناموس ؛ (أى الوحى) الذى أنزله الله على موسى ؛ ثم تتابع الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الدعوة إلى الإسلام بمكة

بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته إلى توحيد الله تعالى بمكة المكرمة ، وأخذ يلفت أنظار الناس إلى توحيد الله سبحانه ؛ ويرشدهم إلى أن الأصنام التى يعبدونها ، لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع ولا تجيب ، وأن الله سبحانه هو وحده الخالق الرازق السميع البصير المجيب ، فهو الله الذى خلق السماء والأرض ؛ والجبال والبحار والليل والنهار ؛ والشمس والقمر، والظلام والنور ، وبيده الخلق والأمر، وهو على كل شىء قدير ، ولكن قريشا لم تتقبل دعوة الإسلام ؛ وفضلت عبادة الأوثان والأصنام ، وقاومت دعوة النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ، وتفننت فى إلحاق صنوف الأذى بالمستضعفين من المسلمين ، فعذبت بلال بن رباح ، وعذبت عمار بن ياسر وأباه وأمه ؛ ومر بهم النبى صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون فقال : صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة .

ولما أسلم رجل غنى يسمى الأرقم بن أبى الأرقم ، وله دار واسعة قرب المسجد الحرام ، عرض على النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يجتمع مع المسلمين فى هذه الدار ؛ بعيداً عن أذى المشركين ، فقبل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، وصار يجتمع بالمسلمين سراً فى دار الأرقم ؛ يقرأ عليهم القرآن ويشرح لهم تعاليم الإسلام ؛ وفى العام الثالث من البعثة ، أسلم حمزه بن عبد المطلب ، فأعز الله به الدين ، وفى العام الثالث من البعثة أسلم عمر بن الخطاب ، وكان قويًا جريئا ، واستمرت قريش فى بطشها بالمسلمين فسمح لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة ، وقد استقبلهم النجاشى ملك الحبشة استقبالا حسنا وأكرم وفادتهم ، وشرح جعفر بن أبى طالب للنجاشى معالم الإسلام .



الرحلة إلى الطائف

استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى دعوته إلى الإسلام والإيمان ، وكان الوحى ينزل عليه يناقش المشركين ، ويرد على السائلين ؛ ويجيب المستفهمين، ولما يئس رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة ، ذهب ماشيا إلى الطائف وهى قرية مرتفعة فيها مصيف الأغنياء ؛ وتبعد عن مكة حوالى خمسين كيلو مترا ؛ وعرض الإسلام على أهلها ، فلم يقبلوا الإسلام ؛ ومكث النبى صلى الله عليه وسلم عشرة أيام فى الطائف ؛ يحاول دعوة الناس وتذكيرهم بالله واليوم الآخر ، ولكن أهل الطائف ردوه أسوأ ردّ ، وأغروا به السفهاء والعبيد ، يرمونه بالحجارة ؛ ويسخرون منه ، حتى دميت قدماه الشريفتان ؛ فجلس فى ظل شجرة ؛ وأخذ يدعو ربه قائلا :

« اللهم أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا رب العالمين ؛ أنت ربُّ المستضعفين ؛ وأنت ربى ؛ إلى من تكلنى ؟ إلى عدو يتجهمنى ؟ أو بعيد ملكته أمرى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ؛ وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ؛ أن ينزل بى سخطك أو يحل على غضبك ؛ لك العتبى حتى ترضى؛ إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ».

وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، ولم يستطع دخولها إلا فى جوار المطعم بن عدى أحد المشركين ، وفى أعقاب ذلك أكرم الله رسوله بالإسراء والمعراج .



بيعة العقبة

كانت مكة تتمتع بأمرين ، مجاورة الحرم الملكى ، والتفوق فى التجارة ؛ وبهذين الأمرين ربح أهل مكة أموالا طائلة ، وغشيهم الترف والنزق والطيش ، فأعرضوا عن دعوة الإسلام ؛ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل ، فعرض الإسلام على الأوس والخزرج من أهل المدينة ؛ فدخل بعضهم فى الإسلام ، وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم ،داعية يعرفهم بالإسلام ؛ ويقرأ معهم القرآن ، وهو مصعب بن عمير ، وتمت بيعة العقبة الأولى مع اثنى عشر رجلا من أهل المدينة ؛ بايعهم النبى صلى الله عليه وسلم على الإيمان والإسلام ؛ والآداب الإسلامية ؛ وفى العام التالى تمت بيعة العقبة الكبرى مع ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين هما نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو بن عدى ؛ وتعتبر هذه البيعة من الركائز الأولى للإسلام ، فإن أهلها كانوا قد قرءوا القرآن فى المدينة ؛ على يد مصعب بن عمير ،وآمنوا بالنبى الكريم ، وبايعوه على الإيمان وحماية الإسلام والدفاع عنه ؛ وبعد هذه البيعة ، بدأت طلائع الهجرة تزحف من مكة إلى المدينة، وبقدر عصيان أهل مكة ؛ وصدودهم عن الإسلام ، بقدر رقة أهل المدينة ، وبكائهم عند سماع القرآن ؛ وحنينهم إلى هجرة المسلمين من أهل مكة ، وحسن استقبالهم حتى قال علماؤنا : فتحت الأمصار بالسيوف ، وفتحت المدينة بالقرآن .



عناية اللـه

اجتمعت قريش مع كبار المشركين فى دار الندوة ؛ ليتخذوا قرارا حاسما ، فى التخلص من محمد صلى الله عليه وسلم ، قال قائل منهم : نحبسه فى السجن ، ولا يصله إلا الطعام ، حتى يموت ، ورأى آخرون أن يطردوه من مكة ؛ ولا يبالون أين يذهب ولا حيث ولَّى .

فقال أبو جهل : إذا حبستموه خرج خبره من وراء الباب ، وإذا طردتموه ، فإن محمدا حلو الكلام ؛ عذب الحديث ؛ فيوشك أن يذهب إلى قوم يؤمنون به ؛ ثم يأتى بهم لمحاربتكم . ثم قال أبو جهل :

أرى أن نختار من كل قبيلة فتى وسطا جلداً قويا متيناً ؛ ونعطى كل شاب سيفاً صارماً بتاراً ؛ فإذا خرج محمد لصلاة الفجر ؛ ضربوه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها ، فلا تقدر بنو هاشم على حرب جميعهم ، فإذا لم يبق أمامهم إلا الدية أديناها لهم . ورضى المؤتمرون بهذا الحل للمشكلة التى حيرتهم ، وانصرفوا لتنفيذ هذه الجريمة ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ الأنفال ٣٠ .

ثم أمر الله رسوله بالهجرة ، وأنزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ الإسراء ٨٠ .



هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بأسباب النصر ، واحتاط للأمر ، فأمر على بن أبى طالب أن يبيت فى فراشه ، وأن يتسجى ببردته ؛ وتسلل النبى الكريم ليلا ، وانطلق إلى بيت أبى بكر الصديق ؛ فأخبره أن الله تعالى أذن له فى الخروج والهجرة ، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله ؟ قال « الصحبة » .

فبكى أبو بكر من الفرح ، ثم قال: يا نبى الله، إن هاتين الراحلتين كنت أعددتهما لهذا منذ أربعة أشهر ؛ فاستأجرا عبد الله بن أريقط - وهو مشرك - يدلهما على الطريق ؛ ودفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

وتوجه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى غار ثور ؛ فى جنوب مكة فمكثا فيه ؛ وانطلق مشركو مكة يرصدون الطريق ، ويفتشون كل مهرب ؛ فى جبال مكة وكهوفها ، حتى وصلوا قريبا من الغار ؛ فاختلط عليهم الطريق. وروى الإمام أحمد أن المشركين مروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا : لو دخل هاهنا أحد، لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال ؛ حتى هدأ الطلب، ولم يرد فى السنن الصحاح ذكر لحمائم باضت على فم الغار أو غير ذلك ، قال تعالى فى ذكر الهجرة ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة ٤٠ .



فى الطريق إلى المدينة

سار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه إلى المدينة المنورة ؛ وقد خمد حماس قريش بعد ثلاثة أيام ؛ قضاها فى الغار ؛ ثم جاء عبد الله بن أريقط فى موعده ، ومعه رواحله ؛ قد أعدها لاستقبال سفر طويل ، وتزود الركب ثم سار على بركة الله ؛ بيد أن قريشا جعلت مائة ناقة لمن يأتى بمحمد حياً أو ميتاً ؛ وتقدم سراقة بن مالك بن جشعم ؛ فأخذ فرسه بعيدا عن الناس ، حتى ينفرد بالحصول على هذه الثروة ، وسار سراقة حتى اقترب من الرسول وأبى بكر ؛ وهنا كبا جواده ؛ وغاصت قوائم فرسه فى الرمال ، فاستنهض الجواد ، وحاول السير ، فهوت الفرس مرة أخرى ؛ ملقية سراقة من على ظهرها ؛فقام معفرا ينادى بالأمان؛ ووقع فى نفس سراقة أن الرسول عليه الصلاة والسلام حق ؛ فاعتذر إليه ، وسأله أن يدعو الله له ، وعرض عليهما الزاد والمتاع فقالا: لا حاجة لنا ، ولكن عمٍّ عنَّا الطلب. فقال : قد كفيتم . ثم رجع فوجد الناس جادين فى البحث عن محمد وأصاحبه ؛ فجعل لا يلقى أحداً إلا رده ؛ وهو يقول : كفيتم هذا الوجه ، أصبح أول النهار جاهداً عليهما ، وأمسى آخره حارساً لهما ، وترامت أخبار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه إلى المدينة المنورة؛ فكان المسلمون يخرجون كل يوم فى استقباله، وفى اليوم الثانى من شهر ربيع الأول سنة ١٣ من البعثة ؛ علم الأنصار بوصول الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فأسرعوا إلى السلاح يستقبلون به الرسول الكريم ، وسمع التكبير يرج أنحاء المدينة ، ولبست يثرب حلة العيد ومباهجه .



من آثار الهجرة

نزل عليه الصلاة والسلام فى أطراف المدينة عند قباء ؛ وهناك بنى مسجدا بسيطا فى قباء ، قال تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ التوبة ١٠٨ .

ثم تحول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ وسار حتى نزلت ناقته بفناء أبى أيوب الأنصارى، فاشترى هذا المكان ؛ وبنى فيه المسجد النبوى الشريف؛ وكان المسجد داراً للعبادة ، وبرلمانا للشورى ؛ومؤسسة اجتماعية تثقيفية تهذيبية ؛ وفى المسجد النبوى ؛ تمّ إعداد المسلمين والمسلمات ؛ وشرح الرسول الكريم أركان الإسلام ، وآداب الدين وشرائعه ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ؛ وحث على التعاون والتآلف ، والتعاون على البر والتقوى ، وتكونت كتيبة الإسلام ، فيها التضحية والفداء من المهاجرين ؛ والإيثار والمودة والتعاون من الأنصار .

وبذل الرسول الأمين جهداً كبيرا ، فى تنظيم المدينة وإعمارها ؛ ووضع معاهدة مثالية للمقيمين فى المدينة ؛ ونجح الإسلام فى المدينة المنورة نجاحاً باهراً ، وامتد نور الإسلام بعد ذلك إلى مكة المكرمة ، ففتح الرسول مكة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ؛ قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيراً ﴾ الأحزاب ٤٥ - ٤٦ .



وقولوا للناس حُسْنًا

اللسان أهم عضو من أعضاء الإنسان ، والكلمة الطيبة صدقة ، وقد حرص الإسلام على تهذيب القول ، وتهذيب اللسان ؛ ونهى عن الفحشى والجهر بالسوء من القول ، ونهى الإسلام عن الغيبة والنميمة ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، وإشاعة السوء والفحشاء ، وإثارة البلبلة والتهم بغير حق ، كل هذا صوناً للأعراض ، وحفظا لحياة الناس وسيرتهم ؛ كما أمر الإسلام بالسلوك الحسن ، وعبادة الله ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، ورحمة اليتيم والمسكين ، والقول الحسن : أى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقيم الصلاة ، وتشجع الطلاب والضعفاء والفقراء بكلمة طيبة وتوجيه جميل .

وفى الأثر : إنما المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه . قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ البقرة ٨٣ .

فالله تعالى أخذ العهد على بنى آدم على ألسنة الرسل والكتب ؛ وعلى بنى إسرائيل أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ، كما وصاهم بمكارم الأخلاق ، وحثهم على نظافة اللسان ، ولين الكلام . ونهى القرآن عن السخرية ؛ والاستهزاء بالآخرين، وعن الهمز واللمز والتنابز بالألقاب ؛ وكل عيب وإيذاء وبذاءة ؛ وأمر الإسلام بالقول الحسن ، والكلام المفيد النافع ، والتوجيه ، والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتى هى أحسن .



حسن الخلق

يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ فصلت ٣٤ ، ٣٥ .

أى لا يتساوى فعل الحسنة التى يرضى الله بها ويثيب عليها مع فعل السيئة التي يكرهها الله ويعاقب عليها ، ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أى قابل السيئة إذا جاءتك من المسيء ، بأحسن ما يمكن دفعها به من الكلام الطيب ، مثل أن تدفع الغضب بالصبر ، والجهل بالحلم ، والإساءة بالعفو ؛ فإنك إذا فعلت ذلك صار العدو كالصديق القريب ؛ الخالص الصداقة فى مودته ومحبته لك .

وهذا الأدب فى الآية موجه إلى الدعاة إلى الله ، وهو لعامةالناس كذلك. ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ .

وما يصل إلى هذا الفضل ، وذلك التسامى والسمو ، إلا الذين صبروا وقدروا على كظم الغيظ ؛ والصبر والاحتمال ؛ ولا يقدر على ذلك إلا ذو حظ عظيم من السعادة والخير ؛ وقد حث القرآن الكريم على الصفح والعفو والهجر الجميل ، قال تعالى : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ .

وفى الأثر (ما انتقم روسل الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حرمات الله فكان ينتقم لله) ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : (ما نقص مال من صدقة وما تواضع أحد لله إلا رفعه ، وما زاد الله عبدًا بعفوا إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله) .



صفات المحسنين

قال تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران ١٣٣ ، ١٣٤ .

هذه آيات ترسم صورة كريمة للشخصية الإسلامية ؛ التى تتجمل بمكارم الأخلاق ،وتنفق على الفقراء والمساكين ؛ والعبد فى ظل صدقته يوم القيامة ، ومن السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ويقول الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ٢٦١ .

ومن صفات المحسنين كظم الغيظ ، والمراد به ضبط النفس وعدم الاندفاع عند الغضب ، والعفو عند المقدرة صفة من أجمل الصفات .

والشخصية الإسلامية شخصية سوية تتمتع بمكارم الأخلاق . وفى الحديث الشريف يقول النبى صلى اله عليه وسلم : (إن أحبكم إلى وأقربكم منى منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون يؤلفون ..) .

والمحسنون هم الذين يفعلون الإحسان ابتغاء وجه الله ، ويشمل ذلك طلاقة الوجه ، وحسن القول ، والتلطف بعباد الله وإكرام الضعفاء .



خيركم خيركم لأهله

الزواج سنة من سنن الدين ، رغب فيه القرآن الكريم ، وجعله آية من آيات الله ، يتم به إمتاع النفس ، وحل الاستمتاع بين الزوج وزوجته ، وتربية النشىء والذرية وإعمار الكون ، قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم ٢١ .

لقد خلق الله آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة ؛ وزوَّجه حواء أمته ، وخلق من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء .

الزوج والزوجة كل منهما يكمل الآخر ويعاونه ، تحقيقاً لقوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ المائدة ٢ .

وقد كان المثل الأعلى للزوج ، هو الهمة العالية ، والعمل والتكسب لينفق على البيت ، ثم الرفق والرحمة والعطف والصفح والتسامح مع الزوجة ، وفى صحيح البخارى أن امرأة وصفت زوجها فقالت (زوجى المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب، وهو أغلبه والناس يغلب) .

فهو متواضع فى بيته ، كريم حليم ، وهوشجاع قوى خارج المنزل. ويقول النبى صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى) فأفضل الناس هوالذى يقوم بحق أسرته ورعاية زوجته وتعليم أولاده وأداء حقوقهم وواجباتهم. وقد كان صلى الله عليه وسلم أفضل الناس معاملة لأهله .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

الزواج تعاون وتكاتف وتراحم ؛ وأفضل أنواع الزواج هو الذى يقوم كل فريق بواجبه ، ويحاول مساعدة الآخر والتسامح معه .

قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ البقرة ٢٢٨ .

ومن واجبات الرجل :

حسن اختيار الزوجة ، كما قال صلى الله عليه وسلم (تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) .

ومن واجبات الرجل أيضاً :

دفع المهر حسب حالته ، قال تعالى ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ النساء ٤

ومن واجبات الزوج النفقة على زوجته ، لأنها تركت بيت أبيها وانتقلت إليه ؛ وتفرغت لرعايته ؛ قال تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ الطلاق ٧ .

ومن واجبات الزوجة :

طاعة الزوج لأن الله جعل له القوامة قال تعالى ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ النساء ٣٤ .

ومن واجبات الزوجة ، أن تحافظ على بيت الرجل وأمواله وأولاده ، وألا تأذن لأحد بدخول بيته وهو غائب ؛ وأن تكون أمينة على بيته وعرضه ، لأنها راع مؤتمن ، وكل راع مسئول عن رعيته .



استوصوا بالنساء خيرا

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (استوصوا بالنساء خيرا ؛ فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها فاستمتع بها وفيها عوج واستوصوا بالنساء خيرا) .

خلق الله حواء من ضلع آدم ، وجعل فى عقل المرأة الحنان والعطف والعاطفة حتى تستطيع أن تصبر على مشقات الحمل تسعة أشهر ومشقات الولادة والرضاعة والفطام والكفالة ؛ وتعددت وصايا القرآن بالأم ؛ قال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ لقمان ١٤ .

وقد تحدث القرآن الكريم عن عدد من الأمهات كان لهن دور بارز فى تاريخ الأنبياء .

تحدث عن أم موسى ترعاه وتضعه فى التابوت بتوجيه الله تعالى ؛ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص ٧ .

وتحدث القرآن عن أخت موسى ، وهى ترعى أخاها ، وتأتى بأمها مرضعة له . وتحدث القرآن عن زوجة موسى ؛ ترعى الغنم وتغرس فى زوجها القوة والأمانة ، وتقول لأبيها ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ القصص ٢٦ .

تحدث القرآن عن بلقيس ملكة سبأ ؛ وكيف هداها الله إلى الإيمان ، وتحدث عن حواء زوج آدم ، وتحدث عن آسية امرأة فرعون وعن مريم ابنة عمران التى جعلها الله مثلا أعلى للإيمان ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين .

إصلاح النفس قبل إصلاح الغير

يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ المائدة ١٠٥ .

أى أحفظوا أنفسكم عن ملابسة المعاصى ، والاصرار على الذنوب ، والزموا إصلاحها ، فمن الواجب إصلاح النفس قبل إصلاح الغير ، وحال رجل فى ألف ، أفضل من وعظ ألف رجل لرجل ، قال الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يسمع ما تقول ويهتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

﴿ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ أى لا يضركم ضلال من ضل من الناس إذا كنتم مهتدين ؛ قال الزمخشرى : كان المسلمون تذهب أنفسهم حسرة على الكفار ، يتمنون دخولهم فى الإسلام ، فقيل لهم عليكم أنفسكم بإصلاحها والمشى بها فى طريق الهدى ، لا يضركم الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ .

وقد روى عن أبى بكر الصديق أنه قال يوما على المتبر : أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقابه) وقد ورد فى القرآن والسنة الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وفى الحديث (مر بالمعروف وانه عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك). أخرجه الحاكم .

١٨- الخطبة والزواج

الزواج هو الطريق السليم لبناء الأسرة ، وإشباع العاطفة ، ورعاية النشىء ، وقد امتن الله على عباده بنعمة الزواج وتيسير المودة والألفة بين الزوجين ، حتى يتحملا شظف العيش وآلام الحياة وآمالها فى سعادة وتعاون . قال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم ٢١ .

وقد حث القرآن والسنة على الزواج لأنه صمام الامان وباب من أبواب العصمة من الرذيلة ، قال تعالى ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ النور ٣٢ .

وقال صلى الله عليه وسلم (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) رواه الخبارى ومسلم أبو داود .

اختيار الزوجة :

الزوجة شريكة الحياة ، ورفيقة العمر ، ورئيسة البيت وعماد نظامه ومبعث سعادته ، فإذا كانت صالحة أقامته على نظام وطيد ، وبثت فيه روح الخير وملأته بأسباب السعادة ، وعنيت بتربية أولادها فبثت فيهم كل خلق حميد ، وعودتهم كل عادة حسنة ، وجنبتهم سيئ الأخلاق وقبيح العادات ، وإذا كانت فاسدة بذرت فى البيت بذور الفساد ، وزودت أبناءها للحياة بأسوأ زاد ، فكان لزاما أن يعنى الزوج باختيار زوجته ، قال صلى الله عليه وسلم (تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء) .

ومن أهم ما ينبغى أن يراعى فى اختيار الزوجة ما يأتى :

١ - أن تكون من الصالحات ذوات الخلق والدين ، لتكون أمينة عفيفة حسنة العشرة.
روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين والخلق تربت يداك).

٢ - أن تكون من معدن طيب ،وأصل كريم . روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا).

٣ - من الخير أن تكون الزوجة متحلية بالقناعة والسلوك الحسن والعفة والاستقامة. قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء ستة : لا أنانة ، ولا منانة، ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ، ولا براقة ولا شداقة ، والانانة كثيرة الأنين والمنانة تمن على زوجها والحنانة تحن إلى ولدها من زوج آخر ، والحداقة التى تتطلع إلى المشتريات والبراقة التى تعنى بمظهرها أكثر مما ينبغى .

٤ - ينبغى أن تكون الزوجة على قدر من الجمال وحسن الوجه لتحصل بها العفة ويتم الإحصان وتسعد النفس ، ومن فضل الله أن الجمال أمر نسبى ،وأن المحبة والملاحة تختلف باختلاف الأفراد حتى يقترن كل زوج بما يناسبه .
روى النسائى وأحمد وأبو داود بسند صحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خير نسائكم ، من إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله) .

٥ - ومن يمن المرأة خفة مهرها ، وتسهيل أمرها ، وقلة صداقها ، وقد ورد النهى عن المغالاة فى المهور ، وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالاة فى الصداق ، ويقول: ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بنتا من بناته بأكثر من أربعمائة درهم .

٦ - ينبغى أن تكون الزوجة بكرا لتكون المحبة بين الزوجين أقوى والصلة اوثق والطباع مجبولة على الأنس باول مألوف .

قال الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل فى الأرض يعشقه الفتى ... وحنينه أبدا لأول منزل

٧ - ينبغى ألا تكون الزوجة من القرابة القريبة ، لأن ذلك يقلل الرغبة فى الطرف الآخر ، وقد كانوا يستحبون تزوج البعيدات ، ويرون ذلك أنجب للولد ، وأقوى للبدن ، وأبهى للخلقة ، فعن عمر رضى الله عنه قال : قال النبى للسائب : قد ضويتم وضعفتم فانكحوا فى الغرائب .

حقوق الزوجين :

نبدأ أولا بحقوق الزوجة على زوجها وهى ثلاثة أشياء :

١ - المهر . ٢ -النفقة . ٣ - حسن العشرة .

١ - المهر :

المهر شرعاً ما أوجبه الشارع من المال بالزواج حقا للمرأة على الرجل فى مقابل ملك استمتاعه بها .

ويقول الشيخ حسن خالد :-

(لقد شرع الله المهر على أنه عطاء مقرر من الرجل للمرأة ، وهدية لازمة ، وليس بدلا كالثمن للسلعة والأجرة للمنفعة ، قال تعالى ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ أى هدية وعطاء .

٢ - مهر المثل :

هو مهر امرأة من قوم أبى الزوجة ، كأختها وعمتها تماثلها فى السن والجمال والعقل والأدب والعلم وما إلى ذلك .

أقل المهر وأكثره :

لا حد لأقل المهر ولا لأكثره ، فكل ما يصلح ثمنا أو أجرة يصلح أن يكون مهرا، وروح الشريعة تميل إلى تيسير المهور وعدم المغالاة فيها حتى لا يسد باب الزواج على الراغبين فيه ، وقد حاول سيدنا عمر أن يلزم الناس بألا يزيد المهر على اربعمائة درهم .

فقالت له امرأة من قريش أيعطينا الله وتمنعنا يا عمر؟ قال: كيف ذلك؟ قالت: يقول تعالى ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ، وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ النساء ٢٠ – ٢١ فقال عمر :اللهم عفوا كل الناس أفقه من عمر .

تعجيل المهر وتأجيله :

المهر من الحقوق المالية ، يصح تعجيله كله ، وتأجيله كله ، وتعجيل بعضه وتأجيل بعضه الآخر ، إلى أجل قريب أو بعيد على حسب العرف ، ومن المقرر أن المعروف عرفا كالمشروط شرطا .

٢ – النفقة :

النفقة هى الحق الثانى من حقوق الزوجة المترتبة على العقد الصحيح. والنفقة فى إصطلاح الفقهاء : اسم للشىء الذى ينفقه الإنسان على عياله وزوجته واقاربه ومملوكه ، ويشمل الطعام والكسوة والسكن ، وهى حق واجب للزوجة على الزوج لقوله سبحانه : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ، لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ الطلاق ٦ ، ٧ .

قال عز شأنه ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ البقرة ٢٣٢ .

وروى مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) .

حكمة وجوب النفقة على الزوج :

يقتضى عقد الزواج أن تكون الزوجة محبوسة لحق الزوج ، ومحرمة على غيره ، لتقوم بالمقصود من الحياة الزوجية ، من حفظ النسل وتربية الولد ورعاية شئون البيت ، لذا تجب النفقة للزوجة على زوجها جزاء هذا الاحتباس فقيرة كانت أم غنية ، مسلمة أم كتابية. ويجب على الزوج وقد أعده الله لحماية الأسرة وحمل أعبائها أن يكفيها مئونة السعي لكسب قوتها لتتفرغ لأداء واجبها على الوجه الأكمل.

٣ - العشرة بالمعروف :

من حقوق الزوجة على زوجها حسن عشرتها ومعاملتها معاملة إنسانية كريمة قال تعالى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . النساء ١٩.

والمعروف كلمة عامة تشمل كل ما عرف حسنه من النفقة والكسوة والمسكن والملاطفة والمكارمة ومراعاة شعورها ، والمرأة مطالبة بمثل ذلك لزوجها قال تعالى ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ . فكل من الزوجين مطالب بحسن عشرة الآخر ، فيتعاون معه على جلب الخير ودفع الشر ، والإخلاص فى أداء الواجب مع العطف والتسامح وحسن الحديث واحترام الرأى وغير ذلك ليدوم الوفاق ويتمتع الأبناء بسعادة الآباء .

حقوق الـــزوج

للزوج على زوجته ثلاثة حقوق هى : الطاعة ، القرار فى البيت ، وولاية التأديب .

١ -الطاعة :

الزواج مودة ورحمة وتعاون ، وفيه تكوين أسرة ، وإنشاء منزل يحتاج إلى إدارة ورعاية وتخطيط وتنفيذ ، والحياة الزوجية حياة اجتماعية ، ولابد لكل اجتماع من رئيس قادر على التنفيذ والسداد ، والرجل أقدر على تحمل مسئولية المنزل ، فجعلت له درجة القوامة على الأسرة ، وهى درجة رئاسة مودة ورحمة ، لا قهر وغلبة .

قال تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ النساء ٣٤ .

جاء فى تفسير المنار (أى من شأن الرجال القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية) .

وقال الشيخ محمد عبده : (المراد بالقيام هنا هو الرئاسة التى يتصرف فيها المرءوس بإرادته ، وليس معناها أن يكون المرءوس مقهورا مسلوب الارادة لا يعمل عملا إلا ما يوجهه إليه رئيسه ، فإن كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن إرشاده والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده إليه) .

والشركة التى بين الزوجين عمادها المعروف ، وكل ما يحق للزوج طلبه من زوجته من أمور مشروعة من أمانة وعفة وإخلاص وحسن معاشرة ومودة وثقة وتكريم وبر وترفيه ، يحق للزوجة طلبه من زوجها. ومن جملة ذلك اعتبار كل واحد من الزوجين نفسه شريكا للآخر فى مختلف نواحى الحياة. قال تعالى : ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ أى للنساء حقوق على الرجال وعليهن واجبات ، وكذلك للرجال حقوق على الزوجات وعليهم واجبات . بيد أن درجة القوامة والرعاية بيد الرجل لما ميزه الله به من القوة والتكسب وفريضة الجهاد . ومن حق الزوج على امرأته أن تطيعه فيما يتعلق بأمور الزوجية ، ومجال الناحية الخلقية هنا أوسع من مجال الناحية القانونية ، ولهذا كثرت الأحاديث التى تحث المرأة على طاعة زوجها والقيام بحقه ، ورعاية البيت والنظر النافع فى شئون الاسرة والذرية ، والتصرف المستمر فيما ينفع الأسرة ويعود عليها بالخير .

روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل فى بيته راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وولده وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته) .

وروى ابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها) .

وجاءت نسيبة بنت عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن الله أرسلك إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبإلهك وأن الله فضل الرجال بالجهاد وبالحج بعد الحج وأن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً غزلنا أصوافكم وربينا أولادكم ونظفنا بيوتكم ، فهل نشارككم فى الثواب والأجر .

فقال صلى الله عليه وسلم : يا نسيبة بنت عمر ، أعلمى من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته تعدل كل ما ذكرت من أمور الرجال.

٢ - القرار فى البيت :

المرأة المسلمة صاحبة رسالة هادفة تتمثل فى رعاية أبنائها وبناتها ، وقيامها بحق زوجها ، وهذه الرسالة السامية تستدعى قرارها فى بيتها ، متحصنة بعفتها ، فإذا خرجت من بيتها لأمر من الأمور ، خرجت فى ثياب ساترة ملتزمة أمر الدين ، فى غض البصر والبعد عن المحرمات ، وقد أدب الله نساء النبى الكريم بأدب السماء حين قال سبحانه ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ . الأحزاب ٣٣.

وقد خرجت سودة بنت زمعة من بيت النبى صلى الله عليه وسلم إلى الطريق فرآها عمر وكانت بدينة لا تخفى على من رآها ، فقال عمر : والله ما تخفين علينا يا سودة . فرجعت إلى البيت وأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عليه الوحى وظلل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفاق قال صلى الله عليهوسلم (إن الله قد أذن لكن الخروج لحوائجكن) .

ومجمل ذلك أن الأساس العام للنساء المسلمات هو المكوث فى البيت ورعاية الذرية ، ويباح للمرأة الخروج لشئون الحياة والتكسب والتمتع بالمباحات والدراسة وكل ما يبيحه الشرع لها ، بيد أنها إذا خرجت من بيتها وجب أن تخرج باذن زوجها ، وتخرج محتشمة ملتزمة لا تثير فتنة ، وإنما تؤدى عملا أو تقوم بواجب أو مباح مشروع .

٣ - ولاية التأديب :

إذا نشزت المرأة عن طاعة زوجها فله حق تأديبها بوسائل التأديب المشروعة وهى :

الأولى : النصح والموعظة الحسنة ، وبعض النساء تكفيها الاشارة قال تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

وذلك بأن يذكرها الزوج بحق الأسرة والذرية وطاعة الله ورسوله ،حتى لايشمت بها الأعداء إلى غير ذلك .

الثانية : الهجر فى المضجع ، وقد قيل أن المراد به المبيت فى حجرة غير التى تبيت فيها، وقيل المراد هجرها مع المبيت معها فى فراش واحد .

والأولى أن يترك تقدير الشيء المناسب للزوج ، ليفعل ما يلائم حاله وما هو أنسب بأسرته .

الثالثة : الضرب ، وينبغى أن يكون غير مبرح ، بسواك أو نحوه ، والقصد منه إلى الإيذاء المعنوى لا الحسى .

وهو خاص ببعض النساء اللاتى لا يصلح معهن إلا هذا النوع من المعاملة، وهو توجيه من الحكيم العليم ، لتستقر الأسر ، وتنتظم الحياة، ومن الخير أن يقضى الزوجان وقتا فى دراسة شئون الأسرة ، ويصارح كل واحدمنهما صاحبه بما يزعجه ويؤلمه ، حتى يتجنب كل طرف ما يزعج الطرف الآخر ، ومن الخير أن تكون النصيحة هادئة بعيدة عن الانفعال والغضب .

قال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى ثورتى حين أغضب

ولا تنقرينى نقرك الدف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ... ويأباك قلبى والقلوب تقلب

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب



١٩ - زراعة الأعضاء البشرية

يبدو من الحفريات القديمة أن المصريين القدماء عرفوا عمليات زرع الأسنان ، التى أخذها عنهم اليونان والرومان فيما بعد [١] .

وقد ورد فى كتب السنة أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد فندرت حدقته فأخذها فى راحته إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم وأعادها إلى موضعها، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما بصرا ، (أخرجه البيهقى وابن عدى.والطبرانى وأبو يعلى) وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم. وهو أول زرع للعين ، أو إعادة زرع .

وفى عصر النبوة قام عرفجة بن أسعد باتخاذ أنف من الفضة ، بعد أن أصيبت أنفه يوم كلاب ، فلما أنتنت أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفا من ذهب فلم ينتن ، وهذا يدل على براعة فائقة فى عمليات تجميلية .

وقد تطورت زراعة الكلى ، ثم زراعة الأعضاء تقريبا ما عدا الدماغ ، وقام مجمع الفقه الإسلامى فى عمان اكتوبر ١٩٨٦ بالاعتراف بموت الدماغ ، واعتباره مساويا لتوقف القلب والتنفس توقفا تاما ، لا رجعة فيه .

وقد أباح الإمام النووى والقزوينى نقل عظام نجسة لفقد طاهر أو عدم صلاحيته ، فيصح ذلك للضرورة ، وتصح الصلاة به للضرورة .

وقد أباحت فتاوى شرعية نقل الدم ، واعتبرته من أعمال الخير ، وذلك لما فيه من إنقاذ حياة أشخاص كثيرين .

---

(١) مجلة مجمع الفقه الإسلامى ، الدورة الرابعة - العدد الرابع ، الجزء الأول (المنعقدة بجدّه فبراير ١٩٨٨ ، ص٩٣).

ودار الإفتاء فى مصر ، أباحت نقل الأعضاء من الميت للحى إذا أوصى الميت بذلك ، أو تطوع الورثة بذلك ، أو كان الميت لا وارث له ، أو لا تعرف شخصيته ، باعتبار أن السلطان ولى من لا ولى له .

إن من قواعد أصول الفقه ، أن الأمر إذا ضاق اتسع ، وأن المشقة تجلب التيسير ، وأنه لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان ، وأنه لا ضرر ولا ضرار ، وأنه يتحمل الضرر الأصغر فى سبيل دفع الضرر الأكبر ، وأنه أينما توجد المصلحة فثم شرع الله .

لقد أباح الفقهاء تشريح جسم الميت لأهداف تعليمية ، أو للبحث عن الجناة ، أو لإسقاط جنين من أم قاربت الوفاة ، فتشريح الجثة فيه ضرر للميت ، لأن كسر عظام الميت ككسره حيا ، لكن الفقهاء نظروا إلى المصلحة التى تترتب على تشريح جثة الميت فأباحوا التشريح إذا ترتبت عليه مصلحة راجحة على الضرر الحادث منه ، لاننا نتحمل الضرر الأصغر فى سبيل دفع الضرر الأكبر.

إن عندنا مرضى بأعداد كثيرة بأمراض الكلى والكبد والبنكرياس ، والجلد ، والعين ، وغيرها من أعضاء جسم الإنسان .

وإذا أراد شخص أن يتبرع بجزء من جسمه ، أو بأكثر من جزء فله ذلك ، خصوصا بعد الحكم بموت الدماغ ، فإن الإنسان يصبح فى حكم الميت ، وتصبح ضربات القلب هذه ضربات موقوتة ، تقارب الوفاة ، وما قارب الشىء يعطى حكمه .

وقد أفادت مجامع الفقه الإسلامى المنعقدة فى عمان بالأردن ، والمنعقدة فى جدة بالسعودية بهذه المعانى .

بل حثت المسئولين والعلماء ورجال الفكر والأدب والتربية ، أن يشجعوا الناس على التبرع بأجزاء من جسمهم ، بعد موت الدماغ ، وقبل توقف القلب ، لأن هذه الأعضاء ، يجب أن تنقل من الميت إلى الحى ، وهى فى حالة جيدة ، تتغذى بالدماء وتصلح للحياة ، ونحن بدورنا ندعو إلى تشجيع البحث العلمى ، وتشجيع استفادة الأحياء ، ببعض أعضاء من الموتى أو من هم فى حكم الموتى ، وبهذا نؤدى خدمة كبرى لأعداد كبيرة من المرضى .

هناك علماء أجلاء ، يترددون فى الموافقة على نقل الأعضاء من الموتى إلى الأحياء ، باعتبار أن الجسم أمانة من الله تعالى لدى الإنسان ، والإنسان ينبغى أن يرد الأمانة كاملة ، ومع احترامى وتقديرى لهؤلاء الشيوخ الأفاضل أقول لهم :

نحن فى دعوتنا هذه أمامنا نصوص شرعية ، من جميع من تولى منصب مفتى الديار المصرية فى العصر الحاضر ، الشيخ هريدى ، الشيخ حسن مأمون ، الشيخ خاطر ، الشيخ محمد سيد طنطاوى وغيرهم . وفتاوى المجامع العلمية للفقه الإسلامى فى دورات متعددة تبيح نقل الأعضاء من الموتى إلى الأحياء ، ويشترطون أن يكون الميت قد أوصى بذلك قبل وفاته ، أو وافق جميع ورثته ، على استفادة أحد الأحياء ، بعضو أو أكثر من أعضائه ، أو يكون الميت قد مات فى حادثة ، ولم يعرف له ولى أو وريث ، باعتبار أن السلطان ولى من لا ولى له .

وهذه المجامع العلمية ، ورجال الإفتاء يرون أن الجسم خلقه الله ، والإنسان مستخلف عن الله تعالى فى رعاية الأمانة .

والله تعالى يقول : ﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ... ﴾ لقد حثنا القرآن على الصدقة والعطف على الفقراء واليتامى والمساكين ، ومساعدة الأرامل والمعوزين ، وتبديد آلام البائسين والمرضى والمنكوبين .

وإذا علمنا أن مريض الكبد أو الكلى يتعذب كثيرا ،وربما تعرض للموت بسبب تليف الكبد ، أو فشل الكلى ، وأحيانا يكون العلاج غير ناجح ، وعندما تنتهى الحياة أو تكاد ، ويذهب المؤمن إلى ربه ، ويدفن فى قبره ، ويحاسب على عمله ، سيكون من أجود الأعمال ، وأفضلها وأبرها ، أنه تبرع بعينيه أو كليتيه ، أو كبده أو طحاله أو قلبه أو أصابع يديه أو قدميه ، لمريض يعانى ، أو بائس أظلمت الحياة فى عينيه، أو أعمى لا يبصر ، ثم يجىء إليه نور الأمل فى صورة منحة كريمة ، تشد أزره ، وتمنحه النور والأمل والصحة والبسمة والحياة ، ألا ينطبق على هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم (من فرج عن مؤمن كربة ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن أطعم جائعا أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن كسا عريانا كساه الله من السندس الأخضر يوم القيامة ،... والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه) .

إننى ادعـو إلى الالتـزام أيضـا بروح الدين الإسـلامـى ، والأديان السـمـاوية .
فأدعوا إلى الآتى :

١ - تحـريم نقل الأعضاء التناسلية من الرجال أو النسـاء ، حتى لا يترتب على ذلك اختلاط الأنساب .

٢ - تحريم بيع أجزاء الإنسان .

٣ - تشجيع التبرع والتطوع والعطاء .

٤ - تيسير الفتوى وتعميمها بين الناس .

٥ - إفهام الجماهير بحقيقة روح الأديان ، فإن هذه الأديان أنزلها الله لرعاية مصالح العباد وتيسير علاجهم ، وشفائهم وراحتهم ، وتخفيف المعاناة بينهم .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة ١٨٥ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المائدة ٦ .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم :(يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) .

يجب أن نكشف كشفا دقيقا على المتبرع ، والمتبرع له ، والغريسة التى ستغرس وتزرع ومدى تقبل الجسم الجديد لهذا العضو ؟ يجب أن يكون المتبرع سليما من الأمراض والآفات ، يجب أن يكون المتطوع قد تطوع بهذا العمل وهو بكامل صحته ، وكامل قواه العقلية ، بدون تأثير عليه ، أتمنى أن تشيع فى أمتنا العريقة روح التضحية ، وتشجيع العلم والعلماء ، ومساعدة المحتاجين فعلا إلى أجزاء من أجسامنا ، وأن نعطيها لهم تقربا إلى الله .

وأنا شخصيا أتمنى أن اتطوع بكل ما يفيد أى مريض ، بأى جزء من أجزاء جسمى بعد موتى ، تقربا واحتسابا لله تعالى .

رأيـان للفقهاء

قال العز بن عبد السلام فى قواعد الأحكام فى مصالح الأنام ٨١/١ : " ولو وجد المضطر من يحل قتله ، كالحربى والزانى المحصن ، وقاطع الطريق الذى تحتم قتله ، واللائط والمصر على ترك الصلاة ، جاز له ذبحهم وأكلهم ، إذ لا حركة لحياتهم ، لأنها مستحقة الإزالة فكانت المفسدة فى زوالها أقل من المفسدة فى فوات حياة معصوم الدم " .

وقد ذهب الشافعية إلى جواز أكل المضطر من جسم إنسان مهدر الدم ، قد وجب قتله بحكم القضاء الإسلامى ، نظرا لأن مهدر الدم لا حرمة له ، ولا قيمة لحياته ، فهو فى حكم الميت .

وأما الحنابلة فقد اختلف الرأى فى ذلك عندهم وذهب ابن قدامة فى المغنى ٤١٩/٩ إلى ترجيح القول بجواز ذلك ، موافقة لما ذهب إليه الشافعى وأصحابه .

أما المالكية وبعض الحنفية فلم يجيزوا لحم المهدر دمه ، عند الضرورة ، تكريما لبدن الإنسان . ولعل الرأى الأول هو المتفق مع القواعد الفقهية مثل : " يتحمل الضرر الأخف لدرء الضرر الأشد " .

إن المجاهد فى سبيل الله يجود بنفسه وماله وحياته من أجل حماية الدين والذود عن الأوطان ، وهو نموذج يحتذى .

وقد ذكر الامام الشاطبى فى الموافقات : ٣٥٥/٢ - ٣٥٦ ، والسيوطى فى الأشباه والنظائر : ١٠٤ - ١٠٥ ، وابن نجيم فى الأشباه والنظائر : ١٨٢ :

" إن للإنسان أن يتنازل عن أى من أجزاء جسده أو دمه لإنسان آخر ذى حياة محترمة ، موف على الهلاك ، قرر طبيبان عدلان أن زرع ذلك العضو أو الجزء فى جسده ينقذه من الهلاك ويمتعه بحياة سليمة ، وأن اقتطاعه من جسم الأول لا يسبب هلاكه ، بل يظل متمعا بحياة مستقرة سليمة .

ورأى الاستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي أستاذ الفقه بجامعة دمشق أن هذا من الإيثار المحمود ، وتحمل المشقة من أجل نفع العباد ، والأحاديث النبوية الواردة فى مدح الإيثار كثيرة واردة فى صحيح البخارى وغيره من كتب السنن، وقد ورد ذلك فى مجلة مجمع الفقه الإسلامى الدورة الرابعة ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

.لقد كتب العلامة الشيخ يوسف الدجوى مقالا مفصلا فى مسألة تشريح الجثة، وأفتى الأزهر الشريف منذ أكثر من سبعين عاما بجواز تشريح جثة الميت ، إذا توقفت الدراية الصحيحة بالطب أو الطب الجراحى فى البلدة على تشريح بعض الجثث ، لإجراء تجارب وتطبيقات عملية عليها ، ابتغاء الحصول على الخبرة الكافية، التى تخول الأطباء حق إجراء العمليات الجراحية للمرضى .

وقد ذكر العلماء فى ذلك ما يأتى :

إن توفير القدر الضرورى من الأطباء ، فى المجتمع الإسلامى فرض على مجموع المسلمين بالاتفاق ، بحيث لو أنهم أعرضوا عن النهوض بهذا الواجب ، أثموا جميعا ، ومن المعلوم أن كل ما يتوقف عليه تحقيق الواجب ، يندرج معه فى حكم الوجوب ، فيصبح هو الآخر واجبا ، تطبيقا لقاعدة : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وعلى هذا ، فإن توقف تحصيل القدر الكافى من الخبرة الطبية ، الواجب تحصيلها على إجراء تجارب عملية ، على بعض الجثث فى نطاق الجراحة الطبية ، كان تيسير السبيل إلى ذلك واجبا على مجموع المسلمين ، شأنه كشأن سائر الفروض الكفائية المختلفة .

ويقول الاستاذ الدكتور حسن الشاذلى - عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر سابقاً « إن الانتفاع بأجزاء الآدمى الميت فى حالة الاضطرار قد اختلف الفقهاء فى إباحته إلى رأيين : الرأى الأول : يرى الحنفية والمالكية والظاهرية عدم جواز الانتفاع بأجزاء الإنسان الميت ، الرأى الثانى : يرى جمهور الفقهاء (بعض الحنفية وبعض المالكية ، والشافعية والحنابلة والزيدية) جواز الانتفاع بأجزاء الميتة الآدمى .

الترجيح للأستاذ حسن الشاذلى :

والذى أرجحه هو جواز الانتفاع بأجزاء الآدمى الميت عند الضرورة ، إحياء للنفس الآدمية ومدا لأسباب البقاء لها ، وبخاصة أن النفس الميتة إن لم ينتفع بها تحللت وصارت ترابا ... فإنقاذ نفس حية ، بشىء من نفس ميتة ، حفاظاً على النفس ، وإحياء لها هو هدف مشروع ومصلحة مقررة شرعا ومعتد بها ، فضلا عن أن رعاية مصلحة الحى فى امتداد حياته ، أولى من رعاية مصلحة الميت فى عدم المساس بجسمه ، إذ جسمه إلى تحلل وإلى فناء .

ويشترط للانتفاع بأجزاء الآدمى الميت ما يأتى :

١ - أن يكون ذلك فى حالة الضرورة ، قال تعالى ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾ .

٢ - أن يكون هناك إذن بالانتفاع بأجزاء الميت ، وهذا الإذن يمكن أن يكون صادرا من الميت قبل موته ، باعتبار أن له ولاية على نفسه ، ويمكن أن يكون صادرا من ورثته بعد موته .

إننا نرغب بهذه المناسبة ، أن تُيسر الحياة ، والاستفادة ببعض أجزاء الموتى بعد وصيتهم بذلك ، ونشير إلى تحريم بيع الآدمى الحر مطلقا ، وقد أجمع الفقهاء على ذلك .

وإلى تحريم بيع جزء من أجزاء الآدمى المتجددة كالألبان من المرضعة ، وإلى تحريم بيع جزء من أجزاء الآدمى غير المتجددة كالكلية ، سدا للذرائع وإغلاقا لباب التجارة فى الأجزاء الآدمية ، وفى نفس الوقت ندعو إلى التطوع والإيثار .

إن القوانين الصحية والفقهية فى المملكة الأردنية الهاشمية ، تبيح تبرع الموتى بأحد أعضائهم ، إذا أوصوا بذلك أو وافق ورثتهم ، وهذا لا يعتبر تمثيلا بالميت بل تكريما له ، ونصت على أنه يجوز أن يتبرع الإنسان بالقرنية ويوصى بذلك قبل موته ليستفيد بها أحد المرضى ، وهذا العمل يعتبر ثوابا مرجو القبول عند الله تعالى .

ومجمع الفقه الإسلامى المنعقد فى مكة المكرمة فى كانون الثانى (يناير) ١٩٨٥ كان من توصيات أحد المحاضرين فيه ما يأتى :

« إن الإيصاء بعضو من الأعضاء فى حال الحياة على أن يفصل من الموصى بعد الوفاة لينتفع به آخر تتوقف حياته عليه ، أو يحول دون فقدان حاسة من حواسه كالعين أو سواها ، لا نرى أن قواعد الشريعة تحول دون مشروعيته على أن يكون المتبرع كامل الأهلية ، وإن كان فى هذا التصرف انتهاك لحرمة الجسم بعد الموت ، لكن المصلحة المترتبة عليه من زرع ذلك العضو فى جسم إنسان آخر ، واستمرار أدائه وظيفته ، التى خلق من أجلها مصلحة راجحة .

ونص فى قرارات المجمع على الآتى :

« تعتبر جائزة شرعا بطريق الأولوية الحالة التالية :

– أخذ العضو من إنسان ميت ، لإنقاذ إنسان آخر مضطر إليه ، بشرط أن يكون المأخوذ منه مكلفا ، وقد أذن بذلك حال حياته .

ومجمع الفقه الإسلامى فى دورة مؤتمره الرابع بجدة فى المدة من ٦ – ١١ فبراير ١٩٨٨ قرر ما يلى :

« يجوز نقل عضو من ميت إلى حى ، تتوقف حياته على ذلك العضو ، أو تتوقف سلامة وظيفة أساسية فيه على ذلك ، بشرط أن يأذن الميت ، أو ورثته بعد موته ، أو بشرط موافقة ولى المسلمين إن كان المتوفى مجهول الهوية أو لا ورثة له.

خاتـــمة

نحن نلفت النظر إلى أن آلاف الشبـاب والرجال والنسـاء يمـوتون فى حوادث السيـر كل عام ، وبعض هؤلاء من أصحـاب موت الدماغ مع استمرار نبضات القلب ، وهى الحالة المثالية التى يمكن الاستفادة منها ، بزرع بعض الأعضاء وهى تتغذى بالدماء ، قبل أن تموت بمجرد موت القلب ، ونلفت النظر إلى أن الفقهاء الأفاضل الذين سبقونا ، واعترضوا على نقل الأعضاء البشرية ، من الموتى إلى الأحياء هؤلاء لم يشاهدوا التقدم العلمى الهائل فى زراعة الأعضاء ، فالدكتور مجدى يعقوب المصرى يجرى آلاف الجراحات الناجحة لنقل القلب ونقل أجزاء أخرى من الجسم معه ، ولو شاهد الفقهاء الأقدمون هذا التقدم العلمى الناجح ، فى زراعة الاعضاء لكان لهم موقف آخر .

ونحن لا نريد أن نفتح الباب على مصراعيه ، خشية أن يدخل التجار والعصابات الدولية للمتاجرة فى أجزاء الجسم الآدمى ، وندعو إلى صدور قانون يقصر السماح بهذا العمل على لجنة معينة تجمع بين أهل الاختصاص وأصحاب الضمائر ، على نسق المرسوم الملكى الذى صدر فى المملكة الأردنية الهاشمية ، وقصر العمل بهذا على مجموعة من الوزراء المختصين ، وندعو فى نفس الوقت إلى تحريم بيع الأعضاء البشرية ، سدا للذرائع ، فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .



٢٠ - سيرة ذاتية
للدكتور / عبد الله محمود شحاته

الاســـــم : عبد الله محمود شحاته .

تاريخ الميلاد : ٢٣ / ٥ / ١٩٣٠ م .

المؤهــلات :

١ - الثانوية الأزهرية

٢ - ليسانس فى اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهره .

- ماجستير فى التفسير .

- دكتوراه فى التفسير وعلوم القرآن .

- **عنوان رسالة الماجستير :** (منهج الشيخ محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم فى ضوء مناهج المفسرين السابقين) من كلية دار العلوم .

- **عنوان رسالة الدكتوراه :** (مقاتل بن سليمان ومنهجه فى التفسير مع تحقيق تفسيره الكبير) من كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، بمرتبة الشرف الأولى .

التدرج الوظيفى :

- عمل إماما وخطيباً لمسجد الإمام الشافعى من سنة ١٩٥٤ - ١٩٧٠ م .

- عين مدرسا بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة إبريل ١٩٧٠ .

- عين أستاذا مساعدا سنة ١٩٧٥ .

- عين أستاذا بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم سنة ١٩٨١م .

- عين رئيسا لقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم من سنة ١٩٨٢ - إبريل ١٩٨٦م .

العمل بالجامعات العربية :

- عمل أستاذا زائر الجامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٩٧٧م واستاذا زائرا لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (فرع القصيم) خلال العام الجامعى ٨٣/١٩٨٤م ، وخلال العام الجامعى ١٩٨٤/١٩٨٥م .
- أعير إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة بالعين لمدة أربع سنوات من سنة ١٩٧٨ إلى سنة ١٩٨٢ م .
- أعير إلى جامعة السلطان قابوس ، بسلطنة عمان من سنة ١٩٨٦ - ١٩٩٢ م .
- استقال من كلية دار العلوم جامعة القاهرة فى نهاية ١٩٩٢ م .
- استمر متعاقدا كأستاذ ورئيس قسم العلوم الإسلامية بكلية التربية والعلوم الإسلامية جامعة السلطان قابوس من سنة ١٩٩٣ م حتى ١٥/٦/١٩٩٦م ، إن شاء الله تعالى.
- قدم استقالته من عمله كأستاذ ورئيس قسم إلى رئيس جامعة السلطان قابوس بتاريخ ٢٩/١٠/١٩٩٥ وقد وافقت الجامعة على الاستقالة اعتبارا من ١٥/٦/١٩٩٦م إن شاء الله تعالى .
- فى نيته التفرغ لإتمام تفسير القرآن الكريم - وهو يفسر الآن فى الجزء الرابع عشر [1] .
- ويسمح له بالعمل كأستاذ غير متفرغ بقسم الشريعة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .



---

(١) هو الآن فى الجزء الثامن عشر

مؤلفات الأستاذ الدكتور
عبد الله محمود شحاتة -المنشورة

م	الكتـــــــاب	الأجزاء	النـــــاشـر
١	أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم	٤	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢	المرأة فى الإسلام	١	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٣	أركان الإسلام	١	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٤	علوم الدين الإسلامى	١	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٥	تفسير سورة النور	١	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٦	تفسير سورة الإسراء	١	الهيئة المصرية الغامة للكتاب
٧	فى نور القرآن	١	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٨	علوم الحديث (قضايا إسلامية)	١	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٩	الدعوة الإسلامية والإعلام الدينى	١	الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٠	تفسير القرآن الكريم ١-١٨	١٨	دار غريب - القـــاهرة
١١	مفتاح السنة	١	مطبعة جامعة القاهرة
١٢	علوم التفسير	١	مطبعة جامعة القاهرة
١٣	تفسير سورة الحشر	١	مطبعة جامعة القاهرة
١٤	مع القرآن الكريم	١	مطبعة جامعة القاهرة
١٥	نظرات فى القرآن (الأول - الثالث)	١	دار زهور الفكر ، السيد عميرة
١٦	الإمام المصرى الليث بن سعد	١	الدار المصرية للتأليف والنشر
١٧	تفسير الآيات الكونية	١	دار الاعتصام - القاهرة
١٨	التفسير بين الماضى والحاضر	١	دار الاعتصام - القاهرة
١٩	تفسير مقاتل بن سليمان تحقيق ودراسة	٥	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠	الإسلام والبيئة	١	دار الشروق - القاهرة
٢١	الأشباه والنظائر فى القرآن	١٠	دار الشروق - القاهرة
٢٢	الدين والحياة	١	دار غريب - القاهرة
٢٣	الدين والمجتمع	١	دار غريب - القاهرة

النشاط الاجتماعى والدينى

المذكور داعية إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، شارك فى تقديم برنامج روح القرآن فى إذاعة مصر ، تكلم فيه عن أهداف كل سورة من أول سورة البقرة إلى سورة الناس، وبرامج إذاعية متنوعة . شارك فى برنامج ندوة الرأى بتليفزيون القاهرة وبرنامج حديث الروح ، والأسرة المسلمة ، والقصة فى القرآن الكريم .....

يشارك متطوعا بخطبة الجمعة فى المساجد الرئيسية والفرعية بجمهورية مصر العربية ، وقد بنى منزلاً ومعه مسجد بالمقطم الهضبة العليا ٥٤٣ شارع ١٩ - قرب ميدان النافورة ، القاهرة .

استقال من عمله بجامعة السلطان قابوس ، ليتفرغ للتأليف وإكمال تفسير القرآن الكريم ، له ماض فى نشر الدعوة الإسلامية - ويسأل الله أن يوفقه فى الحاضر والمستقبل إن شاء الله تعالى .

عنوان : الأستاذ الدكتور / عبد الله محمود شحاته

القاهرة ٥٤٣ شارع ١٩ - المقطم - الهضبة العليا .

خاتمـــة

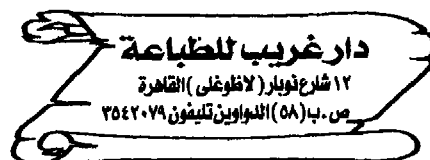
حاولت أن أقدم لك دراسة إسلامية محررة تشتمل على مسيرة الإسلام وأمجاده ، وآدابه وتشريعاته.

ولا أريد أن أضع القلم قبل أن أقول ، إننا فى حاجة إلى محبة ديننا وإسلامنا، والتعاطف مع قيمنا وتراثنا، وفى هذه المحبة سنجدنا نجمع بين الدين والدنيا، بين القيم والحضارة ، بين التراث والمعاصرة؛ إن الإسلام يشتمل على الروح الجديد، والنور الجديد؛ والقيم العالية، ويحتاج منا إلى الفهم السليم؛ والقلب الطاهر ، والعقل الرشيد، والروح الطاهرة ، التى تجمع بين العلم والعمل ؛ والإيمان والإنتاج.

وبذلك تتحول النصوص إلى تطبيق سلوكى عملى؛ ويتحول القرآن إلى روح تطهّر الأفئدة ، وتنير الطريق للمؤمنين ، قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ الشورى ٥٢.

الفهـــــرس

رقم الإيداع ٢٤٥٢/ ٩٨
I. S. B. N. 977 - 215 - 284 - 3


دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

هذا الكتاب

الدين من بواعث الرضا والاطمئنان، والتوافق النفسى فى قلوب البشر.

والإنسان كائن اجتماعى، يتأثر بمن حوله، ويتفاعل معهم، ويتبادل معهم العطاء؛

وهذا الكتاب نموذج للتوافق بين الدين والمجتمع، تحدث عن النظام الاقتصادى فى الإسلام، وعن الرؤية القرآنية للظواهر الكونية، وعن مفاتيح السعادة فى القرآن والسنة؛ وعن عمل المرأة، وعن المسكرات والمخدرات، وعن زراعة الأعضاء البشرية؛ وعن شئون إسلامية من صميم الحياة والمجتمع،

وبذلك يتحول الدّين إلى طاقة مبدعة، تفجّر ينابيع العطاء، وتأخذ بيد المجتمع إلى التوافق والنماء.

هانى أحمد غريب